رواية

سي نجيب

وليد ظاهري

سما للنشر والتوزيع

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

تذكر أنك حملت هذا الكتاب من موقع بستان الكتب

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

رواية

سي

نجيب

وليد ظاهري

للنشر والتوزيع

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

العـنـوان: سـي نـجـيـب
المـؤلـف: ولـيـد ظـاهـري
إشـراف عـام: نجـلاء قاسـم

الناشـــر

سما للنشـــر والتـــوزيع

15 ش يوسف الجندي ميدان باب الوق
أمام مول البستان وسط البلد

تليفون: 24517300 - 01271919100

emil: samanasher@yahoo.com

التوزيــع

المجموعة الدولية للنشـــر والتــوزيـــع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة

تليفون: 24518068 - 01099998240

emil: aldawleah_group1@yahoo.com

تصميم الغلاف

دَرَجْ للاستشارات وخدمات النشر

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

إخـراج داخـلـي: معتز حسنين

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية

أو ميكانـيـكـيـة أو بالتـصـويـر أو خـلاف ذلـك إلا بـإذن كتابـي من الناشـر فقط.

الترقـيـم الـدولـي: 978-977-6451-90-2

رقـم الإيـداع: 2014 / 20304

الطبـعـة الأولـى: يناير 2015

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

يـــس
بـــيـــجـن

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

المحتويات

إهداء

مقهى عمّي رضا

سي نجيب

بداية الشّك

السّفر إلى ألمانيا

نقد الذّات

البروفيسور ماك توني

الإلحاد

العودة إلى المنزل

المُنَاظَرَة

الكوخ

الصَّفْعَةُ الأولى

الصَّفْعَةُ الثانية

الصَّفْعَةُ الثّالثة

الزّجاجة

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

القصر

التّراث

السّعادة

العودة إلى الإيمان

النهاية

من خواطر الشيخ عبد الودود

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

إهـــداء

إلى تلك التي أزّت قلمي..... فسال حبرا..... ملأ صفحات هذا الكتاب... زوجـتـــي دلال.

إلى ذلك الذي كان كَرِيشَةٍ..... جعلت من سواد لوحة حياتي بياضًا ناصعًا..... ابني تـــيـــم نـــــزار.

إلى تلك التي حملتني ، وجعلتني أحمل هذه الفكرة...لم أكن هدية لها..... أهديها هذه الفكرة..... أمي.

إلى كل الذين أوصلوني إلى هذا الذي أنا فيه...أهديهم كل هذا.

إلى الأستاذ الأديب عمار علي حسـن... لولاه لما تكلم صمـتي، ولمـا تحرك سكـوني، ورأى عملى هذا النـور
ولـيـــد ظـاهـــــري

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

مقهـى عمّـي رضـا

كان الفصل صيفا، وكان الجَوُّ حارًا..... خرجت مساءًا بعد أن صلّيت العصر لأحتسي كوبا من الشّاي كعادتي حاملا كتابا اشتريته حديثا، يروي قصّة شاب سار في رحلة البحث عن الحقيقة من الإيمان إلى الإلحاد، ثم عاد إلى الإيمان مرّة أخرى بسبب موقف حدث له.

قصدْتُ مقهى عمّي رضا المُطِلة على البحر؛ ذلك الرّجل الطّيب الذي كان إمامًا خطيبا بالمسجد الذي في قريتنا، وقد عُرِفَ بفتاواه الجريئة المخالفة لكثير مما قاله الأقدمون ممّا أدّى بالوزارة الوصية إلى فصله من عمله، فاتخذ من بيته مقهى يسترزق منها، جعل من نصفه منزلاً للعائلة، والنّصف الأخر مقهىً يستقبل فيها الزّوار، والسُّيّاح خاصّة في فصل الصّيف..... دخلت المقهى، وسلّمت على عمّي رضا، وتبادلنا بعضا من أطراف الحديث عن الحياة اليومية كعادتنا، ثم قَصَدْتُ شرفةَ المقهى.....

كانت شُرْفَةً واسعة مبنية فوق مياه البحر، لها ركنان ركن من جهة اليمين، والأخر من جهة اليسار تتوسطهما نخلة حديثة المَنْبَتِ تكاد أوراقُها تلامس أرضية الشُرفة؛ وكنت دائما أجلس في الرّكن اليماني أراقب أمواج البحر التي يُطَارِدُ بعضها بعضًا كأنها تريد أن تخرج إلى اليابسة، وأُقَلِّبُ نظري بين الجبال المحيطة بالقرية حتى إذا جاء المغيب اختلطت حُمْرَةُ الشّمس مع زُرْقَةُ البحر تكسوها خُضْرَةُ أغصان النّخلة أنتجت منظرا رائعا منه الكثير في قريتنا.

جلست، وفتحت الكتاب على صفحة الإهداء يقول فيها المُؤَلِف:

إلى ذلك الذي بَحَثْتُ عنه.....فَوَجَدَنِي..... !

أهديهِ هديةً.....كان هو الذي أَهْدَى..... !

ثمّ لَمَحْتُ رجلا جالسا في الرّكن المقابل في الشُرفة، كنت قد رأيته لأكثر من مرّة يأتي في هذا الوقت من كل أسبوع، تبدو عليه الأناقة، والأُبَّهةُ، يكسوها

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

غِطَاءٌ من الحُزْنِ كذلك الرِّدَاء الذي يَرْتَدِيهِ أشْـرَافٌ القوم فوق بِدَلِهِمْ فيزيدها رونقا، ويزيدهم رَهْبَةً، وعزّة.....

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

سـي نـجيـب

أَشَرْتُ إلى عمّي رضا ليَأْتِيَنِي بكوب الشّاي، وسألته عن ذلك الرّجل.

- فقال: ألا تعرفه... !

- فقلت: لا... لقد رأيته لأكثر من مرّة...و لكنّي لا أعرفه.

- فقال: إنَّه السي نجيب ابن الحاج جمال رجل الأعمال المشهور.

- فقلت: نعم أعرف الحاج جمال، وأبناءه الثلاثة، ولكنّي لا أعرف هذا.

- فقال: هذا رابعهم، ذهب وهو شاب إلى الدّراسة في ألمانيا، ثم عاد مُحْدِثًا ضجّة كبيرة في الجامعة التي يُدَرِّسُ فيها.

- فقلت: لماذا....؟

- فقال: لا أدري...يقولون أنّه اعتنق الفكر الغربي، وانحرف عن دينه ثم عاد بعد ذلك إلى رشده.

- فقلت: أريد أن أُكَلِّمَهُ.

- فقال عمي رضا: اذهب إليه إنّه رجل مهذب جدًا.

قمت من مكاني قاصده، فلمحني، وعَرَفَ أنّي أريد التّحدث إليه،فسحب الكرسي الذي بجانبه وقال:

- اجعلهما كوبين يا عمّي رضا.

فما إن وصلت إليه حتّى قال لي:

- السّلام عليكم..... كيف حالك يا ولدي....اجلس.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

جلست، ووضعت الكتاب الذي في يدي على الطّاولة.

- فقال: أقرأت هذا الكتاب...؟

- فقلت: اشتريته حديثا، ولم اقرأ فيه إلاّ صفحة الإهداء....لكنهم يقولون إنّه كتاب شيق.

- فقال: يا بني هذا الكتاب يروي زُبْدَةَ مسيرتي الفكرية.

فَدُهِشْتُ ممّا قال...: أهو من تأليفك.....؟

- فقال: تستطيع أن تقول هذا.

فازداد حماسي، وفضولي للتحدُّث مع هذا الرّجل، وقلت لابد أنْ استغِلّ الفرصة، وأسأله عن غرائب وجدتُّها على غلاف الكتاب.

- فقلت: ما تلك الصّورة التي على الغلاف، حيث كان مرسوما على الغلاف الخارجي للكتاب كوخ في أقصى الجبل بجانبه شجرة كبيرة، ورجلان يتبادلان الحديث في مشهد تكسوه ظُلْمَةٌ، وسواد يحيط بالمكان من كل جانب.....؟

ولماذا أُشِيرَ في مكان اسم المؤلف بعبارة (أثر قلمي: سي نجيب) أهو لِمُؤَلِّفِ واحد أم لِمُؤَلِّفَين...؟

- فقال: أما عبارة –أثر قلمي- فالقلم الذي كتب هو قلمي، ولكن الحِبْرَ ليس حِبْرِي.

وأما تلك الصّورة، فهي مكان الكوخ الذي صُفِعْتُ فيه.

- فقلت: صُفِعْتْ!....و من صفعك.....؟

- فقال: ذلك الشّيخ الذي بجانب الكوخ....

وارتعدت شفتاه، ونزلت دمعات بَلَّلت خدّه، وتمتم بين نفسه:

إنها صَفْعَةٌ مباركة.....إنها صَفْعَةٌ مباركة.....

- فقلت في نفسي: جِئْتُ لأتعرَّف على قصّة الرّجل، فازداد شوقي لمعرف قصّة الشّيخ الصَّافِعِ أيضا.....

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فوضع السّـي نجيب يده على كتفي يبدو أنّه سمعني، وقال:

- انّها قصّة واحدة....قصّة واحدة.....

- فقلت: هلا قصصتها عَلَيَّ...؟

- فقال: قد يطول بنا المجلس.

- فقلت: ذلك ما ينقص متعة الحياة دائما..... أن تطول.

فرجع السّـي نجبب بكرسيِهِ إلى الخلف قليلا، وأسند رأسه على الكرسي، وجعل ينظر إلى السّماء قائلا:

قصّتي يا ولدي كقصّة طفلٍ صغيرٍ استيقظ من نومه، فلم يجد أُمَّه بجانبه، فَظَنَّ بفكرهِ البسيط أنّها ضاعت، فخرج يبحث عنها بين الشّوارع، والأزقَّة، والدّموع تملأ عينيه حتى إذا يَئسَ من البحث اكتشف أنّه لا يستطيع الرّجوع إلى البيت لوحده، فزاد حزنه، وجلس يبكي، ويَلُومُ نفسه حتى سمع صوت أمّه تجري، وتصيح بحثا عنه.... فأصبح الباحث مبحوثا عنه، وعاد المبحوث عنه باحثا...

كنت شابا شديد التَدَيُّنِ حتى لُقِبْتُ بالشّيخ سي نجيب، وحَظيْتُ بمكانة عالية لدى أهلي، وجيراني، وكانت معظم نقاشاتي مع الأصدقاء والأحباب لا تخلو من جملة - أحمق من اختار الدّنيا على الآخرة ، ومَغْبُونٌ من استبدل الأدنى بالأعلى....

وبقدر قوة تَدَيُنِي تلك كنت منطقيا، وعقلانيا أتّبع كل فكرة يُرَجِّحُهَا عقلي مهما كانت.

وكانت فكرة الإيمان مُسَلَّمَةٌ لديَّ لدرجة أنّه لم يخطر ببالي يوما عكس ذلك إلى أن حدثت معي مواقف كانت تربة خصبة لنمو بذرة الشّك في فكري.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

بـدايـة الشّـــــك

في فصل الخريف من السّنة التي تَخَرَّجْتُ فيها في الجامعة دُعِيتُ من طرف خالي لأَقْضِيَ يوما، أو يومان عنده، فخرجت باكرا متجها إلى مدينة عنابـة أين يَقْطُنُ خالي عبد الرحمان، وبعد مسيرة نصف ساعة وصلت الحافلة إلى المحطة، وكانت كعادتها مملوءة بالزّوار، والمسافرين هذا من ولاية تِبِسَّة، وذاك من سكيكدة، والأخر من قالمة.....

ورأيت على الرّصيف في مدخل المحطة عجوزا كبيرا في السّن يحمل أغراضا أثقلت كاهله، فجلس ينتظر من يعينه لإيصالها إلى الحافلة المتجهة إلى مدينته، فَلبَّيْتُ طلبه...

خرجت من المحطة نشطا أريد أن أتجوَّل قليلا في المدينة، فتَرجَّلت الطّريق الأيسر من المحطة، واتجهت إلى وسط المدينة، وكان يبعد حوالي كيلومترا، أو أكثر بقليل، هناك من يركب الحافلة، ولكنّني آثَرْتُ أن أمشي، وأستمتع بجوّ المدينة، وبحركة المارّة على طرفي الطّريق، وكان يَتَخَلَّلُهُ الكثير من الباعة، فهذا يبيع الملابس، والأخر يبيع المأكولات الخفيفة، وكان يهمني باعة الكتب القديمة، فكلّما وجدت أحدهم دَنَوْتُ منه لأتصفَّح بعض الكتب عَليّ أجد النّادر منها، أو ما كان قديما لا يوجد حتّى في المكاتب الكبرى حتى لَفَتَ انتباهي كُتَيِّب صغير بعنوان: الفراغ الكوني...

جذبني هذا العنوان، وهو لِمُؤَلِّفِ ألماني مُتَرْجَم إلى اللّغة العربية فابتعته، وأكملت سَيْرِي إلى وسط المدينة، فقصدت مقهى مفتوحا في ساحة الثورة التي تمتاز بها هذه المدينة، وطلبت كوبا من عصير، ثم أخرجت الكتاب الذي اشتريته.....لم يسمح لي فضولي بتأجيل مطالعته إلى البيت...

فتحت صفحاته الأولى، فاكتشفت أنّ المؤلِف كاتب ملحد قد درس جميع الأديان دراسةً موضوعيةً علمية كما يزعم، ولم يقتنع بأيّ دين...

في الفصل الأول من الكتاب تحت عنوان:

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- تناقضات، وخرافات في العهد القديم.

وفصله الثاني: -أخطاء تاريخية في الإنجيل.

ولكن الذي أدهشني هو الفصل الثّالث، فقد كان تحت عنوان:

-أخطاء لغوية في القرآن....

والذي فاجأني أنّ الباحث استشهد بأمثلة من القرآن لم أستطع إلاّ أن أقرأ المثال الأول منها حيث قال فيه:

يزعم المسلمون أنّ القرآن كتاب الله المعجز لغويا، تحدّى به الرّسول العرب المعروفون بلسانهم الفصيح أن يأتوا بمثله، فلم يستطيعوا، واستسلموا لإعجازه على مدى العصور.

لكن هذا الكتاب العظيم كما يقولون يحوي أخطاءً كثيرة، فمثلا نحن وعلماء اللغة العربية نعلم أنّ الأداة (إنَّ) تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ، ويكون اسمها، وترفع الخبر ويكون خبرها....

هذه هي اللغة العربية، ولكنَّ القرآن في الآية 63 من سورة طه أخطأ حين قال:

- (إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ...).

فهذان هنا مرفوعة، وكان من المفروض أن يقول:

- إنّ هذين لساحران.

ارتعشت يدي، وجفت شقتاي، وأظلمت الدّنيا أمامي أصبحت لا أرى إلاّ الطّريق إلى البيت.....

وضعت الكتاب في الحقيبة، ونَهَضْتُ من مكاني قاصدًا الحافلة....

أفسد هذا الكتاب علي نهاري، فناداني صاحب المقهى: كوزان....كوزان.....

- ثمن العصير...من فضلك.

فأخرجت من جيبي نقودا لا أدري كم، واحتضنت حقيبتي مُتَّجِهًا إلى

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

المحطة، كأنّي أحمل قنبلة، أو مسدسا أخشى أن يكتشفه الناس.

ولمّا وصلت إلى القرية لم أقصد البيت، بل ذهبت إلى المسجد لأقابل إمامه الشّيخ عبد الحميد لأطرح عليه الأمر، فهو قريب لي في العائلة وبيننا وبينهم نسب...

دخلت مكتب الشّيخ مُرْتَبكا أشد ارتباكٍ.

- فقال ما بك يا نجيب..؟ أحدث شيء في العائلة....؟

- فقلت: لا...

وكنت أقول بيني وبين نفسي:

- ماذا لو لم يستطع الشّيخ عبد الحميد أن يَحُلَّ هذا الإشكال..... كيف سيكون الحال....؟

- فقال: ما الذي حلَّ بك.....أخبرني....؟

أعطيته الكتاب وقلت:

- إنّ هذا الكتاب يتكلَّم بالدّليل عن وجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم، ورجعت إلى الخلف خوفًا من ردة فعل الشّيخ.

أخذ الشيخ الكتاب، وقرأ فيه حوالي خمس عشرة دقيقة، وأنا جالس أنتظر...ثم قال:

- يا نجيب لا تقرأ مثل هذه الكتب لا فائدة منها إلا التشكيك في الدّين، وفي الله جلّ وعلا.

- فقلت له: أصحيح ما يقول الكتاب يا شيخ.....؟

فأجابني إجابة أثلجت صدري، وأراحتني من حمل ثقيل حملته من المدينة إلى القرية...و عَلِمْتُ حينها معلومةً عجيبة أن قواعد اللّغة العربية مستمدة في الأصل من القرآن الكريم من طرف العالم اللغوي الكبير –سيبويه-

فالقرآن هو الأصل، وقواعد اللّغة هي الفرع، فكيف للفرع أن يحكم على الأصل، وعلمت كذلك أن القرآن الكريم قد نزل على سبع لهجات كانت شائعة

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

عند العرب آنذاك.

سلّمت على الشّيخ عبد الحميد وقلت له:

- أرحتني أراحك الله، وعلَّمتني علَّمك الله، وزادك علما وورعا...و لكن نصيحتك يا شيخ مع تقديري الكبير لك لم تقنعني.

- فقال: أيَّةُ نصيحة يا نجيب...؟

- فقلت: لقد قلت لي أن لا أقرأ إلاّ لمن يطمئن له قلبي، وديني، وأن لا أقرأ كلَّ شيء.

- فقال الشّيخ: نعم يا نجيب، ألم ترى كم أتعبك، وأرهقك هذا الكتاب طوال اليوم.

- فقلت: نعم يا شيخ، ولكن لولاه لما تعلّمت، وتعرّفت على كل هذه المعلومات القرآنية...بربّك كيف نطالب غير المؤمنين أن يقرءوا لنا، ونحن لا نقرأ لهم... سيفعلون نفس الشيء، ويبقى المؤمن مؤمنًا والكافر كافرًا.

فابتسم الشّيخ وقال: عقلانيٌّ مثل أبيك، ولكنْ احذر يا نجيب....

قرَّرْت حينها أن أنهي دراستي هذا العام، وأعيد التّسجيل في قسم الشّريعة الإسلامية حتّى أتعرَّف على ديني، وأتخصَّصَ فيه.

وأقيَ نفسي من الصّدمات الفكرية التي قد تحدث لي عند مطالعتي للكتب غير الإسلامية.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

السّفـــر إلـى ألمـانيـا

تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفن، ففي نهاية العام الدّراسي تخرجت، وحُزْتُ على درجة التّفوق، وأُرسِلت في بعثة علمية للدّراسة في ألمانيا.

حَضَّرْتُ نفسي في عطلة الصّيف تلك، وزُرت رُفقَة أبي أغلب أقاربي، وأصدقاء العائلة لأودعهم قبل رحلتي في سبتمبر من ذلك العام؛ وأذكر أنّ جدِّي الحاج كمال، وهو شقيق جدّي نلقبه كلنا بجدّي ، لأن جدي قد مات قديما، وتربَيْنَا كُلُّنا تحت وصايته فقال، وقد أكل الدّهر منه ما أكلت النّار من حطب:

- يا ولدي نجيب كن مثالا جيدا عن المسلمين، وأدعهم بالتي هي أحسن للإسلام لأَنْ يهدِيَ الله بك أحدا، خيرٌ لك من حُمُرِ النَعَم كما قال الرّسول ﷺ....

فقبلت يده وقلت: إن شاء الله..... ادع لي فقط يا جدّي.

- فقال: هداك الله، ووقاك، وجعل الجنّة مثواك.

وكانت حفيدته مَنَال معنا، وكانت مهُوُوسَة بالثّقافة الغربية الأوربية، ومنتجاتها فقالت:

- لا تنس المعطف البنفسجي الذي كلَّمتُك عنه يا نجيب، وليكن بنفسجيا فاتحا.

ولمّا خرجنا من بيت جدِّي كمال قلت لأبي لابد أن أزور الشّيخ عبد الحميد فإنّ له مكانة عزيزة في قلبي...فوجدناه في محلّه لبيع العطور فسلّمنا عليه، وأخبرته أنّي ذاهب في بعثة علمية إلى ألمانيا، وقد جئت لأودِّعك، وأحْظى ببركاتك، ودعواتك يا شيخ.

- فقال: يا نجيب كن حذرا كما قلت لك المرّة الماضية، فإنَّ بين الحق والباطل خيطا رفيعا، قد يفتنك الشّيطان، فيُلْبِسُ لك الحق بالباطل.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- فقلت: نعم يا شيخي، ولكنّي لن أخشى الحقيقة، سأبحث عنها ما وجدتها...

فلإنسان منّا لابد له أن يستدل، ثم يعتقد، ولا ينبغي له أن يعتقد ثم يستدل، وما دمنا نحن المسلمين نزعم أننا نمتلك الحقيقة، فلا نخشى إلاّ ربّ الحقيقة، فمن يملك الباطل هو من يخشانا...أليس كذلك؟

فعاد، وقال الجملة نفسها رحمه الله:

- كن حذرا يا نجيب وفقك الله إلى ما فيه خيرك، وخير أُمّتك.

وفي صباح يوم الخميس من السّابع من شهر سبتمبر كنت وأبي في المطار لأستقل الطائرة المتّجهة إلى مدينة فرانكفورت أين توجد الجامعة التي أرسلت إليها..... قَبَّلْتُ جبين أبي، وقلت له:

سَأُرَاسِلُكُمْ حتى أطفئ نار شوقكم لي، فأطفئوا أنتم أيضا نار شوقي لكم وراسلوني.

ركِبت الطائرة، وبعد ساعة وخمس وأربعين دقيقة نزلنا في مطار فرانكفورت الدّولي.....كان مطارا عظيما كما قيل لي.....نزلنا من الطائرة، وأُرْكَبُونَا في حافلة صغيرة تبدو وكأنّها صنعت كلّها من زجاج، ترى نفسك وأنت راكب فيها كأنّك تمشي في الهواء..... ثم نزلنا في مدخل المكاتب الخاصّة بأمور أوراق السّفر، خرجنا بعدها على قاعة كبيرة، وعالية لم أرى مثلها في حياتي ترى نفسك صغيرا جدا فيها.....

وضعت حقائبي، وجلست على كرسي في بهو تلك القاعة لأسترجع تركيزي، وأرى ماذا أفعل، وصوت الميكروفون ينادي في كل دقيقة على المسافرين الذّاهبين إلى لندن التّقدم إلى الطّائرة...على المسافرين الذّاهبين إلى أمريكا التّقدم إلى الطّائرة.....إلى الصّين...

والنّاس تدخل من كل مكان، وبكل الألوان من سود، وبيض، ونسوة ورجال.....ذكّرَنِي هذا المشهد بالذي رأيته في محطة المدينة عندنا أين كانت مكتظة بالمسافرين من المناطق المجاورة، ولكن هنا في ألمانيا المشهد جميل، ومُرَتَب لا عِرَاكَ، ولا سُبَابَ كذلك الذي عندنا.

خرجت من المطار عَلِّي أجد سيارة أجرة تأخذني إلى الجامعة، فإذا بي أجد طريقا طويلة من سيّارات الأجرة كلٌّ ودوره.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فدنوت من الأوّل، وقلت:

- أريد الذّهاب إلى جامعة الفلسفة.

- فقال: بكل ترحاب....تفضّل سيدي.

وضعت الحقائب في السّيارة، واستأذنت السّائق لخمس دقائق فتَخَيَّرْتُ مكانا بجانب شجرة عند مدخل المطار لأُصَلِّيَ الظُّهر لأنّ السّاعة عندي كانت تشير إلى 00:30، وألمانيا تفوتنا بساعة، وبالتالي يكون على الأقل قد مرَّت أربعون دقيقة على صلاة الظّهر.

صَلَّيتُ ثم ركبت سيارة الأجرة تلك، وبعد دقائق من انطلاقنا كلّمني السّائق فقال:

- هل أنت مسلم...؟.....تبدو من طقوسك أنّك مسلم.

- فقلت: نعم أنا مسلم، ومن الجزائر.

- فقال: هل أنتم متدَيِنُون كُلُكم....؟

- فقلت: على الأرجح.

- فقال: نحن لسنا كذلك في ألمانيا.

- فقلت: لماذا.....؟

- فردّ السائق: الدِّين لم يأتِ لَنَا إلاّ بالدّموع، والدّم.

- فقلت: لماذا....؟

- فقال: أنا لست ضِدَّكَ سامحني، ولكن عندنا النّاس يعلمون أن الدّين عبر العصور لم يأت إلّا بالدّموع، والأحزان..... فالمتديّن تجده حزينا تشاؤُمِيًا، لا يستمتع بالحياة، وتراه دائما وكأنّه ينتظر شيئا ما....و كذلك الدّم الذي سَالَ عبر العصور بسبب الدّين ما يجعل لَوْنَ المحيط يتغير.

أدهشني رّدُّهُ، وبقِيَت تلك الكلمات التي قالها السّائق تدور في رأسي لشهور.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- أيكرهون الدّين لهذه الدّرجة، أم ما يقولونه صحيح....كيف....؟

وقلت بيني وبين نفسي: يبدو أنّي لا أستطيع أن ألبّي طلبك يا جدّي كمال على ما أظن، فلا قبول للهداية عندهم.

وصلنا إلى الحيّ الجامعي، فنزلت وأنزلت حقائبي، واقتربت من مكتب الدخول فقلت:

- أنا طالب جزائري مبعوث من الجامعة الجزائرية للدّراسة في هذه الجامعة وأعطيته القرار الذي أعطَوْهُ لي، فأخذ الأوراق بكل هدوء ولم يسألني، أو يستفسر كما يفعلون عندنا.

أعطاني ورقة مكتوب فيها اسمي، وغرفتي، والمدخل الذي فيه، وأعطاني كتابا صغيرا فيه كل ما يخص الجامعة، وقال:

- تفضل سيدي مرحبا بك في ألمانيا.... نتمنى لك التوفيق.

حملت حقائبي وذهبت إلى الغرفة التي أرسلني إليها، وكانت الغرفة رقم -27- في الطابق الثالث المدخل - 1 -....

وصلت إلى الغرفة، وفتحت الباب، فوجدت فيها طالبا آخر يبدو من ملامحه أنّه عربي.

- فقلت: السّلام عليكم، ورحمة الله، وبركاته.....تبدو عربيا...!

- قال: نعم أنا أحمد من مصر.....أرسلت في بعثة للدراسة هنا، وقد وصلت منذ أسبوعين.

سُرِرْتُ كثيرا بجوابه، وقلت:

- أنا نجيب، جزائري، أرسلت لدراسة الفلسفة هنا في مدينة فرانكفورت.

- فقال: هناك طالب عربي آخر في الغرفة التي بجانبنا، وهو من اليمن وأسمه أبو عبيدة.....كان معي قبل قليل، سيعود بعد أن يصلّي العصر.

أفرغت حقائبي، ووضعت كل ما فيها في الخزانة، وكانت تفتح أوتوماتيكيا بمجرد أن تضع الرقم السّري الذي أعطوه لي عند الدّخول..... ثم استرخيت على سريري، وكان على الجانب الأيمن من باب الشّرفة، ودارت بيني وبين

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

صديقي الجديد من مصر السيّد أحمد أحاديث طويلة عَرفْتُ من خلالها أنّ السيّد أبا عبيدة زميلنا الأخر متديّن يرتدي الزّى التقليدي، ومطْلِقٌ لِلَحيَتِهِ عكس أحمد الذي كان تَدَيُّنُهُ معتدلا يميل إلى المنطق والعقلانية مثلي.....

وبينما كنّا على سيرة أبي عبيدة حتى طرق الباب، ودخل الغرفة، وعَرَّفَهُ أحمد بي فسَعِد بوجودي كثيرا.

- جلس أبو عبيدة، وبدأ يُرَدِّدْ: أستغفر الله.....أستغفر الله.....

- فقال له أحمد: ماذا هناك ثانية يا أبا عبيدة.....؟

والظّاهر أنّ أبا عبيدة قد حدثت له أشياء كثيرة أخرى قبل مجيئي يعرفها أحمد، فقد جاء قبلي إلى هنا.

- فقال أبو عبيدة: الحَيُّ الجامعي الذي أمامنا مختلط بين النّساء والرّجال إنّهم يدخلون غُرَف بعضِهم كأن شيئا لم يحدث.!...

- فردَّ عليه أحمد: وما دخلنا نحن بهم، إنّهم أحرار، وما نحن إلاّ ضيوف عندهم، وسنعود إلى بلدنا عند تَخَرُّجِنَا.

- فقال أبو عبيدة: ألم تسمع حديث الرسول صلىّ الله عليه وسلّم: من رأى منكم منكرا فليغيره.....لا يمكننا السّكوت... !

فقاطعته أنا وقلت:

- على ما أظنّ يا أخي أبا عبيدة أنّ ما تراه أنت منكرا، هم لا يرونه كذلك، لهم دين آخر وثقافة أخرى.

- فقال: كل الأديان تدعو إلى الحِشْمَةِ ليس الإسلام فقط.....

وفي مساء اليوم التالي خرجنا ثلاثتنا لنتجول قليلا في المدينة، ونتعرّف على ألمانيا أكثر...أبهرتني تلك الهندسة المعمارية لمدينة فرانكفورت، عمارات كبيرة عالية إذا مشيت بجانبها تخشى أن تسقط عليك من شدة عظمتها... شوارع متوازية وواسعة، مساحات خضراء رائعة، شرف العمارات منسجمة مع بعضها لا عوج فيها، مارّة وسيّارات يتداولون قَطْعَ الطّريق في هدوء كأنّهم يخشون رقيبا يعاقبهم إذا ما خالفوا القوانين.

- فقلت لأحمد: أ هذه هي ألمانيا التي دُمِّرَت في الحرب العالمية الثانية،

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ودَكّتْها حصون الحلفاء حتى جعلوها صعيدا جُرُزَا.....؟

- فردَّ أحمد: يُلَقِّبُوَنَها بالمعجزة الألمانية...و ليس في العمران فقط، بل هي الآن ثالث دولة اقتصادية في العالم....و كانت انطلاقتها متزامنة مع استقلالنا نحن، ولكن أين نحن منها الآن.....؟

- فقلت: لا أدري لماذا لم ننطلق نحن..؟..ماذا ننتظر حتى تكون لنا مدن عظيمة، ومصانع عملاقة، ومواطنون يقدسون القانون مثلهم...أهناك ما يُعِيقُ....؟

- فقال أحمد: ما ينقصنا يا نجيب هو الثّقة في النّفس، والاعتزاز بالهوية، فنحن الآن نعاني انفصاما في الشّخصية، جماعة يدعون إلى التّغريب، وآخرون يريدون الرّجوع إلى الخلف، فترانا لا نخطو خطوة إلى الأمام إلاّ، ونتلوها بخطوتين إلى الخلف....

لابد لنا من حركة فكرية قويّة جريئة، تأخذ أحسن ما في الغرب فتبني عليه، وتخلِّص تراثنا من شوائب عديدة لَصَقَتْ، أو بالأحرى ألصقت به.....و سيأتي يا نجيب ذلك الأمل شاء من شاء، وكره من كره.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

نـقــد الـــذّات

عُدْنَا بعدها أدراجنا إلى الحيّ الجامعي، ودخلنا غرفة أبي عبيدة...فقام فأشعل التلفاز على قناة دينية، قال لي أحمد أنّها قناة جديدة تبثّ هنَا في أوروبا.

وكان البرنامج (فتاوى المهجر) مع شيخ معروف هنا في ألمانيا.

ونحن كذلك حتى اتصلت بالشيخ فتاة تقول أنّها من النمسا تستفتي الشّيخ في أمرٍ ما.

- قالت: يا شيخ، السّلام عليكم، أردت أن أستفتيكم في حكم سماع الموسيقى، وأقصد تلك الهادئة منها.....الكلاسيكية مثلا....؟

- قال الشّيخ: حكم الموسيقى كما أجمع عليه علماء الأمّة قديما، وحديثا حرام، وسامعها مُرْتَكِبٌ لإثم عظيم سيلقى الله به يوم القيامة.

- قال أبو عبيدة ضاحكا:....وهل هذا يحتاج إلى فتوى....؟ إنَّها حقيقة فقهية لا جِدَالَ فيها.....!

دفعتني عقلانيتي كالعادة إلى التدخّل فقلت لأبي عبيدة:

- و أين هو الدّليل القطعي الصّريح على التّحريم....؟

- فقال: هذه الأشياء من المُجْمَعِ عليها، والإجماع أصل من أصول الفقه يا أخي نجيب ألاَ تعرف هذا....!

- ثم قال: عندي شريط يتكلم عن تلك الأدلَّة بالتفصيل، سأعطيه لك لتستمع وتقتنع، وتعرِف أنَّ علمائنا لا يتكلمون إلا بالأدلّة الصّريحة من الكتاب، والسّنة.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

في اليوم التالي أعطاني أبو عبيدة الشّريط، فسمعته كاملاً لمدة ساعة ونصف، ولمَّا انتهى التفت إلى أحمد، وكان بجانبي، فقلت:

- أم يقنعني...كلّها تأويلات لا دليل صريح عليها.

- ردَّ أحمد: والله يا نجيب أنا أيضا لست مقتنعا بفكرة التّحريم تلك، ولم تدخل قلبي، والرسول الكريم يقول:

- اسْتَفْتِي قلبك، ولو أفتاك الناس، وأفْتَوْكَ.....و لكنِّي لا أسمعها.

وكانت هذه نقاشاتنا دائما أنا، وأحمد، وأبو عبيدة كلمَّا شاهدنا هذا البرنامج، وكان يُبَثُّ كلَّ يوم جمعة بعد المغرب، فاحتكاكنا بذلك المجتمع المتحَضِّر، وثقافته العقلانية جعلنا ننظر إلى فكرنا الدّيني، وفتاوى علمائه نظرة النّاقد المتشكِكِ.

أذكر مرة أخرى أنّه اتصل شاب من السعودية.

- فقال: السّلام عليكم يا شيخ...أريد أن أسألك عن التِّقْنِيَةِ العلمية الحديثة التي يقوم بها الغرب، أو يحاول القيام بها، وهي تلقيح السّحاب بواسطة مواد كيميائية، وتوجيهِهِ بريَّاح اصطناعية لإنزال المطر.

- قال الشيخ: سبحان الله...!... استغفر الله....لا يجوز هذا يا ولدي لأنّه تَدَخُّلٌ في صلاحيات الله جلّ وعلا.....هذه من الأمور المقصورة على الله، وقد ذكرها في سورة لقمان حيث قال: (...إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ...).

فهذه مجرّد أكاذيب يريدون منها تشكيك النَّاس في دينهم.

كعادته أبو عبيدة يبتسم بِرَدِّ الشّيخ، ويقول:

- يمكرون، ويمكر الله...و الله خير الماكرين.

- فقلت: ما هذا....!...ما دخل الإيمان بالسّحاب....؟ أليس ديننا يحُثُ على العلم...؟..ما به هذا الشّيخ....؟

- فقال أحمد: والله يا جماعة، أستطيع القول أنَّ اختصاصي قريب من هذه الأمور، وكان أحمد يدرس علم الفيزياء الفلكية، وأعلم أنَّ تلقيح السّحاب هي طريقة علمية معمول بها في بعض دول العالم، وليست أكاذيب كما قال الشّيخ.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- فقلت: إذا يا أبا عبيدة...أنُصَدِّقُ العلم، أم هذا الشّيخ....؟

- فردَّ غاضبًا: العلم متغير يا نجيب، والدّين ثابت، أنا في الحقيقة أصَدِّق الشّيخ، وأصَدِّق ديني.

فرجعت وقلت له:

- لا أظن أنّ هذا من أمور الدّين في شيء.

وأذكر مرّة أيضا كنَّا قد أمضينا ثلاث سنوات مع بعضنا في ألمانيا واشتد التلاحم والوُدُ بيننا، دخلت الغرفة، وكنت قد خرجت من الدّراسة مُبَكِّرًا، فانتظرت حتى حَضَرَ أحمد، فقلت له:

- أين أبو لحية....اشتقت إلى ناقشاته.....؟

- فقال: لقد ذهب ليشتري بعض الأشياء، وسيعود.

فلمّا جاء قلت له:

- ألاَ توجد حصّة لهذا اليوم تفتح لنا باب النّقاش يا أبا عبيدة.....؟

- فقال: بلى هناك حصة رائعة على قناة الإيمان.

- فقلت: أشعل التلفاز إذن...دعنا نرى.

كانت حصة حوارية بين شيخ فاضل، وضيوف معه سألته إحداهن وكانت كبيرة في السِّن فقالت:

- عندي مبلغ كبير من المال، هل استطيع أن أضعه في البنك، وآخذ عليه أرباحا أقتات منها فأنا لا أعمل، وليس لي إلاّ هذا المال ورثته عن زوجي، وكما ترى يا شيخ فأنا كبيرة في السّن، ولا أقوى على العمل، أو تحمّل مشقة التّجارة....؟

- فقال: بالنسبة للأرباح فهي ربًا، والرّبا حرام، ولا يجوز شرعا أكله وإلاّ فقد وقعت في الكبائر.

- فقالت: فماذا أفعل يا شيخ...؟ أ أدع نقودي هكذا آكُلُهَا درهما بعد الآخر حتى تنتهي، وأعود محتاجة....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- فقال: خير لك من الوقوع في الكبائر.

- فقالت:إذن أضعها في البنك، ولا أخذ عليها فائدة.

- فقال: هذا أيضا لا يجوز لأنَّكِ تُعينِين المُرَابين على الرِّبَا.

- فردّت غاضبة: اجعل لي حلاًّ يا شيخ...لا تتركني هكذا...؟

- فقال الشّيخ: المشكلة مشكلتك، وليست مشكلتي.

فَصِحْتُ غاضبا لغضب المرأة، وقلت لأبي عبيدة، وأحمد:

- أهؤلاء هم شيوخ الإسلام...؟ عِوَضًا أن يَحُلُّو مشاكل النّاس يخلقون لهم مشاكل أخرى...ليس هذا من الإسلام في شيء.

- فقال أحمد، وقد كان هادئا كالعادة: والله ما أعرفه أنَّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام صَلَّى متجها إلى الكعبة لسنوات، وهي تحوي أكثر من ثلاث مائة صَنَمٍ، ولم يحتَج على ذلك، لأنّها ليست مشكلته إنَّما كان يقصد الكعبة في صلاته، وليس الأصنام.

- فقلت: من نَتَّبِعُ وبمن نقتدي إذن، أبالرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام كما أُمِرْنَا أم بهؤلاء...؟

- فقال أبو عبيدة: لا تفهمها هكذا يا نجيب...إنَّ الشّيوخ، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم الوَصِيُّونَ على الدّين لابد أن نثِقَ في أرائهم، ونتبع فتاويهم.

- فقلت: والله قناعتي أن الدّين لا يحتاج إلى من يحميه، لأنّه لو احتاج لمن يحميه لكان دينا ناقصا.

وفي اليوم التّالي كنَّا جالسين أنا وأحمد في الحديقة المقابلة للحيّ الجامعي أين كانت الأزهار مُلْتَفَّة بنا من كل جانب قد أحسن الإنسان الألماني تصميمها فكانت كلوحة فنية رسمها فنَّانٌ محترف.....بعد لحظات رأينا أبا عبيدة من بعيد فناديناه، فالتفت إلينا وتبدو عليه ملامح الغضب قائلا:

- ليس لي مكان هنا بعد الآن...إنَّهم يحاربون ديننا...لا أستطيع السّكوت مَلَلْتُ من الصّمت إنَّه لمنكر كبير غفر الله لنا.

فقلنا له بعد أن أجلسناه ونَاوَلْنَاه كوبا من العصير:

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- ما الذي حدث يا أبا عبيدة.....؟

- فقال: دخلت هذا الصّباح في نقاش مع أستاذة عندنا كانت تتكلم عن حرية المرأة أو بالأحرى حرية التَّبَرُجِ، فقالت مستشهدة كَوْنُ المرأة قِطْعَةٌ من الجمال لابد أن يرى المجتمع ذلك الإبداع الفنِّي، وكانت تقصد مفاتن المرأة.

- فقلت: يا أستاذة والأخلاق أليست نوعا من الفن لابد أن تُظْهِرَه المرأة أيضا....؟

فرَدَّت: الأخلاق التي تحارب الفنّ ليست بأخلاق مدنية إنّها رجعية.

- فقلت: والدّين يا أستاذة...؟

- فقالت غاضبة: ليس للدّين مكان في أوروبا، تخلصنا منه قديما؛ أتريدون أن ترجعونا إلى العصر الظّلامي وكانت تقصدنا نحن المسلمين، فقد كان معنا بعض الطّالبات من باكستان يرتدين الزَّيَ الشّرعي...

- اشتَدَّ النّقاش بيني وبينها حتّى وصل إلى ما يشبه الشِّجار.... فخرجْتُ من المدرّج.....لا يمكنني البقاء في بلد يحارب ديني.....لابد لي من العودة إلى بلدي.

- فابتسم أحمد قائلا: مرّت بي نقاشات كثيرة من هذا النّوع، هَدِأْ من رَوْعِكَ يا أبا عبيدة...

لماذا لم تجادلها بالمنطق والفطرة إنّ الدّين ليس عندهم بحجة إنّهم معقدون منه بسبب تاريخي نعرفه كلّنا.....ناقشها بالمنطق والعقل.

- فقال أبو عبيدة: دائما تتكلمون عن الدّين بالمنطق والعقل.....الدّين دين....و إنّما العقل وسيلة للعلم والتّعلم.

فأجابه أحمد إجابة أعجبتني كثيرا، لابد أنّه قراءها لأحد المفكرين فقال:

- المرأة قطعة من الجمال وتحفة فنية ربانية، وجمالها الربانيُّ هذا جمالان ,جمال مادي حيواني، وجمال إنساني روحي وعظمة الفنّ أنّه يعتمد على المبالغة والإيحاء...فالمرأة المحجَّبة لها أن تكون في أحسن صورة، وما عليها إلاّ أن تُخْفِيَ ذلك الجمال المادي الهابط لأنها ستتحول إلى فريسة وتُحَوّل الشّبان إلى أسود تَلْهَثُ وراءها...سرعان ما يَمَلُّونَ منها عند التمتع بها..... لكن ذلك

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الجمال الإنساني ثابت وهو أكبر تكريم رباني لهذا المخلوق الرّائع.

هَدَّأَتْ تلك العبارات من غضب أبي عبيدة قليلا لكنّه بقي مُتَحَفِّظًا على قضية تزَيُّن المرأة المحجّبة.

- ثمّ قال أحمد:

- لماذا لا يظهر في المسلمين عَالِمٌ أو مُصْلِحٌ يستطيع حلَّ كلَّ هذه المشاكل الفكرية.....أم أنّ باب الاجتهاد مغلقٌ كما يقول البعض، ولكن شباب الأمّة سيضيع ومنهم نحن أكيد، إنَّنا نعاني من صدمات هذه الأفكار الوافدة، فبقدر ما نجدها منسجمة مع عقولنا لا نجد ما يؤيدها في الدّين أو بالأحرى عند أقوال وفتاوى الشيوخ، لابد وأن يظهر مُجَدِّدٌ ومصلح ديني يُوَفِّقُ بين الدّين والعلم والفلسفة والفن ويجمع بين ايجابيات الحضارة الغربية كما نراها الآن وبين الدّين الذي نحن معتقدون أنّه من الله جلّ وعلا...و لا يتركون الشّباب في خيار صعب إِمَّا الدّين وإِمَّا الأفكار الوافدة، لأن الشّاب الذي لا يعرف حقيقة دينه أكيد سيختار الأفكار الّتي يقبلها عقله.

كثيرا ما كان يُرَدِّدُ أحمد مثل هذه العبارات يشكو لنا ولنفسه الحالة التي يعيشها ونعيشها نحن، حتى أنّه في بعض الأحيان يلجأ إلى البكاء عندما لا يستطيع الإجابة على بعض التناقضات الفكرية ويسجد متضرّعا إلى الله أن يرسل إلى الأمّة من يُنْقِذُ شبابها من هذا الصّراع الفكري وإلاّ فإنّنا سَنُفْتَنُ وتنحرف بنا الطّريق عن الإسلام.

وبعد أيام قلائل حدثت تفجيرات إرهابية في إحدى الدّول الأوروبية.

تبنَّى تنظيم القاعدة تلك التفجيرات التي راح ضحيتها الكثير من النّساء والأطفال الأبرياء الذين ليس لهم في السّياسة لا ناقة ولا جمل.

فانقسمنا ثلاثتنا بين مؤيد لتلك التّفجيرات وكان أبا عبيدة فقد اعتبرها عمليات جهادية للقضاء على الطّغيان والغرور الغربي وكان يقول حينها:

- و أخيرا أُعْلِنَ الجِّهاد الذي انتظرناه لعشرات السّنين فهو السّبيل الأوحد لعزة الأمّة التي مرَّغَهَا الغرب بعنجهيته في التّراب.

- فقلت: وما بال أولئك الأبرياء ، لماذا يموتون هكذا، وقد يكون من بينهم مسلمين....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- فقال: هم مِنْ أهل التِّرْس.....ألم تقرأ في سيرة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام أنّه قاتل المحتمين بالأطفال والنّساء فقال يبعثون على نِيَّاتِهم.

بينما أحمد فقد كان متحفّظا جدا على وسيلة الجهاد تلك ولكنّه كان مع غاية الجهاد الذي قال أنّه الخيار الوحيد أمامنا لنَرُدَّ الصفعة صفعتين لهؤلاء الظلمة في فلسطين والعراق وأفغانستان.....فالمقاومة رَدٌّ طبيعيٌ على الطّغيان الغربي.

بينما أنا فقد كنت رافضا رفضا مطلقا لقضية العنف تلك، لأنّني كنت أرى أنّ العنف هو أكبر دليل على الهزيمة الفكرية، فمن يملك الحجّة تكون ردود أفعاله مدروسة لا تُكَسِّرُ المبادئ الأخلاقية التي يدعو النّاس لها.

وكانت من نتائج تلك التّفجيرات الإرهابية أنّ السّلطات الأمنية في أوروبا اتَّبعت إجراءات احترازية في التّعامل معنا نحن المسلمين كان فيها بعض الظّلم والتّعسفِ انتهت باختفاء أبي عبيدة.....سمعنا بعدها بمدة أنَّه انْظَمَّ إلى جماعة جهادية تنشط في أوروبا...

بينما أحمد فقد أُرْسِلَ لإجراء بعض الأبحاث في سويسرا تتعلق بدراسته، لم أره بعد ذلك لمدة طويلة.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

البروفيسـور مـاك تـونـي

وحدتي تلك جعلتني أُعَجِّل بإكمال رسالتي للدّكتوراه وكانت بعنوان فلسفة التّنوير في أوروبا تحت إشراف البروفيسور ماك تونـي الفيلسوف الألماني المشهور آنذاك والذي تَعَلّقْتُ به أشدَ تعلقٍ.....كان عالما بأتَمِّ معنى الكلمة...

تَوَطَّدَت العلاقة بيني وبين البروفيسور حتى أصبحت أرافقه إلى بيته لاستشارته في بعض الأمور الخاصّة بمذكرة التخرج.

لم يسألني يوما عن ديني أو عن اعتقادي أو عن صلاتي التي كنت أصلّيها في بعض الأحيان أمامه وفي بيته.

وفي مرة قرَّرْت أن افتح نقاشا فلسفيا معه فقلت:

- هل لي أن أسالك سؤالا خاصّا يا بروفيسور....؟

- فقال: على الرّحب يا نجيب.

- فقلت: لم أرك يوما تؤدِّي طقوسا دينية.....أليس للدّين عندك مكان.....؟

فأبتسم وقال:

- إن ديني هو العقل والعلم والإنسان يا نجيب.

- فقلت: وما رأيك في الدّين يا بروفيسور.....؟

- فقال: الدّين مرحلة من مراحل حياة الإنسان على الأرض وقد تجاوزها منذ عصر التّنوير.

- فقلت: كيف تجاوزها.....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- فقال: الدِّين يا نجيب هو تفسير الإنسان أو النّبي عموما لل-ما وراء أو للغيب ويعتمد على الخيال والقصص الخرافية والطقوس اللاعقلانية واللامنطقية في نفس الوقت.....و قد وصل الإنسان في وقتنا الحالي أو في عصر التّنوير بالتحديد إلى هدم كل تلك الأساطير والخرافات التي كانت مُقْنِعَةً في وقت ما وعادت مُصَادِمَة للحقائق العقلية والعلمية آنذاك.

- فقلت: سامحني يا أستاذ، هذا رأيك أنت في الدّين أمّا المتديّنُون فلا يرون أنّها أساطير وخرافات بل يرونها حقائق وبراهين.

- فقال: المشكلة في عقولهم يا نجيب، لم تنم وتتسع لاستيعاب كل ما قلته الآن.

ثم سكت البروفيسور قليلا وقال:

- يا نجيب أيمكن للطّبيب الذي يعالج بالخرافات والطلاسم وهم كُثُرٌ في العالم المتخلف والمجتمعات التقليدية.....هل يمكنه أخذ مكان الطّبيب المختص المتخرج في الجامعة والذي يملك أدوات وآلات علمية دقيقة تعطيك نتائج مخبريه وأشعة تبيّنُ لك حالة المريض بدقة.....؟

- فقلت: لا، طبعا.....

- فقال: ولكنّه في المجتمعات التقليدية أخذ مكانه، بل قد لا تجد مكانا للطّبيب الجامعي المختص هناك.....و كذلك الدّين يا نجيب لا ينمو إلاّ في المجتمعات المتخلفة والتقليدية.

- فقلت: لكن يا أستاذ هناك مجتمعات متقدمة، ولو قليلا عندنا نحن المسلمين لا زالت تؤمن وتقدِّسُ الدّين.

- فقال البروفيسور: صحيح...و لكنهم ذاهبون حتما إلى ما نحن عليه الآن في أوروبا...أَلَسْتَ تجد في تلك المجتمعات أفكار متشدِّدَة رافضة لكل شيء مخالف لها...؟...فما الإرهاب الذي نشهده الآن في العالم إلا ردّة فعل من ذلكم المُتَدَيّنِين الذين انهزموا فكريا، فهم كالسّمكة التي تخرج من الماء تظلُّ تتخبط وتتخبط حتى تموت وكذلك الدّين يا نجيب.

ثم ابتسم البروفيسور ماك قائلا: أنا لا أدعوك إلى التّخلي عن دينك يا نجيب، ولكنك سألتني عن رأيي فأجبتك كعالم فلسفة.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ثم أخرج من درج مكتبه كتابا من تأليفه بعنوان:

- أدلة الملحدين وأباطيل المؤمنين

- و قال:هذا كتاب مفصل عن هذا الموضوع....اطَّلِعْ عليه ثم بعد ذلك نتناقش.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الإلـحـــاد

في الحقيقة كان نقاشي مع أستاذي هذا بمثابة ضربة كبيرة لي، وخاصّة ذلك الكتاب الذي أعطاه لي فقد ناقش فيه تاريخ جميع الأديان السّماوية والأخرى التي ليس لها أصل سماوي وطرح فيه كثير من الإشكالات جعلت ذلك الشّك الذي كان ينتابني لشهور كثيرة يزداد ويكبر لم أستفق منه إلاّ وأنا أفكر مثل البروفيسور ولا أدين بأي دين.

صَرَّحْتُ بذلك في ديباجة رسالتي للدّكتوراه حيث كتبت.

لقد جئت إلى أوروبا أحمل دينا في عقلي كنت أراه عظيما كعظم الكون الذي أراه ، أردت أن أدعم ذلك الدّين بفلسفة تنويرية سَحَرَتْ كل العالم ليس أوروبا فقط.....وكان شعاري يومها أَيُّمَا فكرة رضخ لها عقلي واستسلم لها فكري سأعتقدها مهما كانت لأنّي لا أثق إلاّ في عقلي فهو دليلي أينما وجهني نفذت.....و لكنّي اكتشفت أن عقلي لا يقدر على حمل فكرتين مع بعضهما ، لابد لي أن أختار بينهما، وبعد طول تَأَمُلٍ مال فكري وعقلي إلى الفلسفة.

أحسست بتحرر كبير في وجداني عندما تخليت عن الدّين وكأنّي كنت مربوطا ففتحت القيود وهربت أو كنت مسجونا فخرمت الحجر وفررت.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

العــودة إلى المنـــزل

عدت إلى وطني حاملا معيَ شهادة عالمية وفكرا تنويريا كما كنت أرى...عُيِّنْتُ بعدها أستاذا للفلسفة في الجامعة.

سُرَّ أهلي وأصدقائي بعودتي وقابلتهم نفس الإحساس...و علمت بعدها أن جدي كمال قد توفي منذ مدّة ولم يخبروني في رسائلهم كي لا يؤثر ذلك على دراستي...و الشّيخ عبد الحميد أيضا قتل منذ ستة أشهر من طرف جماعة إرهابية اعترضت طريقه إلى مدينة باتنة لزيارة أهله، فدخل معهم في نقاش فقهي انتهى بإراقتهم لدمه الطّاهر.....حَزِنْتُ لموت جدي كمال حزنا شديدا ولكنّ حزني على الشّيخ عبد الحميد كان أكبر لأن بيني وبينه مواقف فكرية كنت أَوَدُّ مناقشته في أمور عدّة...رحمه الله كان دائما يحذّرني من الرّوح العقلانية التي قد تقضي على الدّين في قلبي، ولكنّه لم يجد من يحذّره من الأفكار الإجرامية التي قد تريق دمه.

وبعد مرور أيام أدرك أبي وأمي أني لم أعد أصلّي ونزعت رداء الدّين عن نفسي، فغضبا عليَّ غضبا شديدا وقاطعاني لشهور.

وفي الجامعة رأيت أن معظم الطّلبة مهووسين بالثّقافة الغربية وبأفكارها وكانوا دائما يسألوني أسئلة كنت عانيت منها قبل أن أسافر إلى ألمانيا.....كنت أجيبهم دائما كما كان يجيبني أستاذي البروفيسور ماك توني عندما كنت أسأله في ألمانيا وكانوا يجدون أفكاري بمثابة الدّواء لأمراضهم الفكرية، وٱشتهرت بين طلبة الجزائر كلِّها آنذاك بفلسفتي العقلانية المستنيرة حتى أحرج ذلك الأساتذة الآخرين وعملوا جاهدين على مناقضة أفكاري وكانوا دائما يفشلون في ذلك حتى أنّ بعضهم كان يتحاشى مناقشتي خوفا من انتصاري عليه....

لُقبت آنذاك بالفيلسوف الملحد وكنت لا أُحبّذُ هذا اللّقب بل كنت أرى نفسي أستاذا عقلانيا لا يعتمد في قبول أي فكرة إلاّ على العقل والمنطق.

وفي السّنة التي بعدها عُيِّنْت رئيسا لقسم الفلسفة ثُمَّ عميدا للجامعة

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وأشرفت على رسائل ماجستير ودكتوراه لطلبة كُثُر من الجزائر ومن بلدان عربية أخرى.

وفي إحدى السّنوات أقامت جامعة الجزائر ملتقى عالميا لحوار الحضارات أُستدعي فيه كبار مفكري وفلاسفة العالم من مختلف الحضارات والثقافات وكنت من بين المدعوين لأشارك في مجموعة مناظرات فلسفية تحت عنوان: - بين العقل والدّين.

قبلت دعوتهم بكل ترحاب لأنّي كنت أعشق المناظرات والحوارات الفكرية العميقة، وهذه هي ميزة كل باحث عن الحقيقة.

ذهبت إلى تلك الجامعة في شهر جوان من ذلك العام وقابلت هناك فلاسفة وأدباء ومفكرين عالميين كبارا، منهم من كان يعرفني لأن شهرتي تلك أخذتها من شهرة أستاذي البروفيسور ماك طوني في جامعة فرانكفورت ومنهم من كان يسمع بي.....و كانت تتخلل تلك اللقاءات نقاشات وحوارات ثقافية متعددة المشارب تجعل الفيلسوف يعجب من هذا التعدد والتمايز الإنساني.

كانت مداخلتي في ذلك الملتقى عبارة عن مناظرة بيني وبين عالم الدين المشهور آنذاك برهان يوسفي المختص في الفكر والفلسفة الإسلامية وله كتب ومؤلفات عديدة في هذا المجال.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

المُنَـــاظَـــــرَة

دخلت إلى القاعة وكانت مملوءة بالأساتذة والصّحفيين من جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي والأوروبي.

جلست على المنصّة وكانت عالية تحفُّها الإضاءة من كل جانب حتى يراك كلّ الحضور، وكان في الجهة المقابلة لي السيّد برهان يوسفي يحضّر نفسه عَلَّهُ يستطيع القضاء على حُجَّتِي التي ربّما سمع عنها أنّها كانت حجّة عقلانية منطقية يصعب تكسيرها.

قام المقدم بعد أن فتح الجلسة وقال:

السّادة الحضور من فلاسفة، وعلماء دين، وإعلاميين، وطلبة السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....سنفتح الآن المناظرة ونتمنى من الحضور بمن فيهم الأستاذ نجيب والأستاذ برهان يوسفي أن يلتزما بأقصى معايير الحوار الحضاري الذي يخلو من كل خدش أو إساءة.

سنعطي خمسة عشر دقيقة لكلا المتناظرين، ولنبدأ بالأستاذ الذي على يميني الشيخ برهان يوسفي:

السيّد برهان: بسم الله والصّلاة والسّلام على خير خلق الله ربي أرنا الحق حقا وأرزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلا وأرزقنا اجتنابه، وأهدي يا ربي من التبس عليه الأمر فرأى الباطل حقا ، أما بعد:

فأولا: أنا مُتَحَفِظٌ على عنوان المناظرة –بين العقل والدّين، فأنا لا أرى أي بَون بين الدّين والعقل، فكلاهما يُكَمِّلُ الأخر وكذلك كان من المفروض أن نقدم الدّين على العقل في عنوان المناظرة فالدّين أعمّ وأشمل من العقل...

هذا من ناحية الشّكل.

أما من ناحية المضمون فيجب علينا أولا أن نعرّف كلاًّ من الدّين والعقل حتى

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

يتّضح الأمر.

الدّين في اللّغة: من الفعل دان وهو فعل ثلاثي يتعدى تارة بنفسه فيكون: دانه أي ملكه وقهره وحاسبه مثل ذلك:

-دان الله فلان...أي ملكه وساسه وحاسبه.

ويتعدى بالباء فيكون: دان به أي اتخذه دينا مثال ذلك:

- دان فلان بالإسلام أي اتخذه منهجا.

أو يتعدى باللام فيكون: دان له أي خضع له وأطاعه مثال ذلك:

-دان فلان لله أي خضع له وأطاعه.

أما معنى العقل في اللغة: فهو من الفعل عقل وعقل الدّابة أي ربطها وكفها.

فالإنسان العاقل هو الذي يكفه عقله عما يضرّه، وبتعبير بسيط فالعقل هو آلة التحكم التي يتحكم من خلالها الإنسان في نفسه، فالإنسان غير العاقل لا يستطيع التحكم في تصرفاته، فتراه يفعل أشياء غريبة وعجيبة.

وهنا أعيد وأكرر أنّه لا خلاف ولا بَوْنَ بين الدّين والعقل، فالدّين هو المنهج الرباني الذي فرضه الله جلّ وعلا على الإنسان، والعقل هو الوسيلة التي يتحكم بها في تصرفاته، فيطبّق منهج ربه ولا يخالف شرائعه.

المقدم: انتهت الخمسة عشر دقيقة، فالكلمة الآن إلى الأستاذ نجيب.

الأستاذ نجيب: تحية حب وود مني إلى كل عقل في هذه القاعة.

أما ما قاله زميلي بخصوص البَوْنِ بين العقل والدّين...فأنا أرى أن هناك بونا شاسعا بينهما يصل أحيانا إلى حد النّزاع والخصام.

أما من ناحية تقديم العقل على الدّين في العنوان، فأراه منطقيا فالعقل هو الذي وُجِدَ أولا على الأرض عند الإنسان القديم، ثم جاء الدّين بعد ذلك.

وفي ما يخص تعريف العقل والدّين.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فالدّين هو منظومة للغيب قد استعان بها الإنسان القديم لتفسير بعض الغرائب، والمجاهل في هذه الحياة، كتفسير الموت أنّه انطلاقة نحو حياة أخرى، أو التكلم على ما وراء الطّبيعة ؛و أقول هنا وأنا مسئول على كلامي العقائد هي اجتهادات للإنسان القديم في توضيح ما ذكرناه، وهذا الإنسان قد يكون نبيا أو قديسا أو عالما صوفيا.

أما العقل: فهو أداة المعرفة عند الإنسان، فهو لا يستطيع فهم ما حوله إلا بالعقل، وهذه الملكة هي التي مكّنت الإنسان من صناعة وابتكار أشياء وأدوات ساعدته على تسيير حياته حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من تقدم مذهل.

وبالتّالي فالصّدام بين الدّين والعقل واقع، لأن الدّين في مضمونه هو دوغما (أفكار يُسَلِّمُ بها الإنسان هكذا دون أي دليل)، وهذا ما يرهق العقل خاصة إذا ما وصل إلى تفسير علمي وعقلي لبعض مكونات الدّوغما تلك.

وفي الأخير، فالإنسان العاقل الذي يحترم عقله لا يمكنه إلاّ أن يَخضع لعقله الذي يعقلن له الظّواهر الطّبيعية فيجعلها معادلات رياضية قابلة للدّراسة، عكس الدّين الذي يتركها خاضعة لمشيئة إلهية ليس لنا إلاّ التّسليم بها.

المقدم: تفضل شيخ برهان:

-أليس لكل نتيجة سبب في هذه الحياة، فقانون السببية يُحَتِّمُ على عقولنا أن نقول بوجود سبب أول قد أوجد هذا العالم بما فيه..... والعقل لا يقبل وجود هذا الكون من العدم، ونحن ندرك أن هذا الكون لم يوجِد نَفْسَهُ بنفسه....فمن أوجده إذن...؟....

ولو رجعنا بتسلسل تلك العلل، فالعقل لا يقبل بتسلسلها إلى مالا نهاية وإنّما هناك بداية لهذه السلسلة، أين كان لا يوجد أي شيء ثم وُجِدَ فمن جعل ذلك العدم يتحول إلى وجود.....لابد وأنّ هناك ذات عظيمة وجودها من ذاتِها هي التي حَوَّلَت العدم إلى وجود.

وباختصار كما يقول قدماء الفلاسفة:

-هناك ممكن الوجود ويمثل الكون بما فيه، وجوده ليس من ذاته وإنّما استمده من غيره.

-وهناك واجب الوجود ويمثل الذّات الإلهية، (الله سبحانه) الذي لا يحتاج في وجودة إلى غيره، فوجوده من ذاته العَليّة.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وهذا ما وصل إليه كبار الفلاسفة قديما وحديثا، فالعقل لا يَهْدَأ إلاّ لهذه النّتيجة، وإلاّ سيبقى في تناقض وغموض دائمين.

قاطعه المقدم وقال: هل لديك ردٌّ يا سيّد نجيب على هذه النقطة، حتى نمشي بالحوار نقطةً بنقطةٍ فلا تتداخل علينا الأمور...

السيد نجيب:

أمَّا فيما يخصّ قانون السببية، فقد ناقشه الفلاسفة قديما وحديثا وباستفاضة وانقسموا إلى مذهبين:

-هناك من أنكر هذا القانون من أمثال الفيلسوف ديفيد هيوم الذي قال أن العقل هو الذي اخترع هذا القانون بناءًا على ما شاهده لحادثتين متتاليتين، فظنَّ أن الأولى سبب للثانية وهذا تَوَهُمٌ، لأنّه لا شيء يثبت عقلا أنّ الثاني نتيجة للأول وإنما هو تتالي زمني فقط.

وهناك من المتكلِّمين المسلمين من قال شيئا قريبا من هذا، فقالوا بأن السّبب هو الله، فالنّار لا تحرق بِذاتِها أي ليست سببا للحرق وإنّما الله هو الذي جعلها تحرق وبالتالي فهو السّبب الأصلي.

في الحقيقة حتىّ نكون أكثر دقة، فإنّ كثيرا من الفلاسفة قد اعتمد قانون السّببية هذا وأكّد ثبوته، لكن هناك من تحفّظ عليه لا مجال للتفصيل هنا؛ فما أَوَدُّ أن أقوله هنا هو ما قاله الفيلسوف الأكبر ايمانويل كانط عن هذه القضية حيث أكّد على أن العقل البشري لا يعمل إلاّ في إطار الزمان والمكان وبالتالي عندما نتكلم عن بداية ونشأة الوجود الذي هو الزمان والمكان، لا يمكن للعقل أن يتكلم عن ما قبلهما لأنّه لا يعمل إلاّ في إطارهما.

وهذا ما يجعل قانون السّببية هذا في قضية الوجود الأول لا قيمة له عقلا ولا استناد عليه فلسفيا.

السيد برهان:

هذه هي دائما مشكلة الفلاسفة أنّهم يأخذون بالأدلّة التي في صالحهم، ويحاولون طمس كل دليل ضدهم.

أمّا ما قُلْتَه هداك الله أنّ علماء الكلام المسلمين قد أبطلوا قانون السّببية فهو مُجافٍ للحقيقة، لأنّهم يفرّقون بين السّبب الحقيقي والسّبب الظّاهر

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لنا.....فالنّار نشاهدها ونراها تحرق، وهذا السّبب ظاهري.. ولكنّه ليس سببا حقيقيا، وإنما السّبب الحقيقي هو الله الذي جعلها تحرق.

دعنا الآن نقفز على هذا الدليل العقلي، ونمرُّ إلى دليل النَّظْمِ.....

أَلاَ ترون يا جماعة ويا سيّد نجيب أنّ هذا الكون مُنَظَّمٌ ومُتَّزِنٌ ومُتْقَنٌ شديد الإتقان، فمن جعله على هذا النحو بتصميم مذهل.....فحركة النجوم، والكواكب، والشموس، والريّاح، والأمطار كلّها موضوعة بدقّة متناهية تجعل الإنسان يَعْجَبُ.....أيمكن لعقلي هذا أن يسلّم بأن هذا الوجود المتقن المبهر في تصميمه جاء صدفة، أو جاء هكذا من العدم.

السيد نجيب:

صحيح، فهذا يعتبر أكبر دليل علمي يعتمد عليه علماء الدّين دائما، لأن الإنسان لا يستطيع أن يُنْكِرَ هذا التصميم المبهر لهذا الكون.....أنا معك مئة بالمائة أنّ كَوْنَنَا هذا محكم شديد الإحكام، ولكن دعني أقول لك شيئا أخر...

لو وُجِدَ هذا الكون على هيئة أخرى، وقوانين أخرى غير هذه الموجودة الآن لقلتم نفس الشيء... وبالتالي لا يمكن أن نحكم على هذا الكون أنّه مُصَمَّمٌ من طرف مُصَمِمٍ إلاّ إذا قارنّاه بكون آخر يماثله، ونحن الآن لا يوجد عندنا كون آخر نقارنه مع هذا الذي نحي فيه.

ناهيك على أنّ هذا الكون مع إحكامه وتصميمه المبهر، هناك فيه أشياء تُنْقِصُ من ذلك الإحكام....

ماذا لو لم تكن فيه زلازل وبراكين...؟

ماذا لو لم توجد فيه أمراض، وجراثيم تَهْتِكُ بحياة آلاف، وملايين البشر يوميا...

ألا يُنْقِصُ هذا من النّظم الذي نتكلم عنه.....؟

ولكن سأفترض معك أنّ هذا الكون بما فيه مصمم تصميما عظيما.

التصميم المبهر في الكائنات الحية قد فَسَّرَتْهُ نظريّة التطور لتشارلز داروين عن طريق الانتخاب الطبيعي الذي مع مرور ملايين السّنين لا يبقى إلا الأقوى، والأصلح، فلا نجد الآن في كوننا إلاّ المحكم، وعقلي يقبل بهذا التفسير العلمي

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وهذا ما ندعو له، أن نجعل من العلم سبيلنا للوصول إلى الحقيقة بدلا من الدُوغْمَا.

أمّا قضية تصميم الكون فالعلم الآن في طريقة إلى تفسيرها فالعلماء حاليا يدرسون بدقة متناهية اللّحظات الأولى للانفجار العظيم، وحَتْمًا سيصل العلم إلى تفسير علمي يُرْضِي عقولنا ويُغْنِيهَا عن الدوغما.

السيد برهان:

أرى صديقي يتكلم كثيرا عن الدوغما، أليست البديهيات والمسلمات العقلية التي تستند عليها أنت في تحليلاتك هي عَيْنُ الدوغما يا سيد نجيب، فأنت تقبل البديهيات دون أي دليل لأن عقلك يقبلها كما هي.....و إن كُنْتُ مخطئا فَفَسِّرْ لي إن استطعت بديهةً من البديهياتِ....؟

أمّا ما قلته عن نظرية التطور تلك، فكثير من علماء الغرب قبل الشّرق قد فَنَّدُو كل أساطيرها، وخزعبلاتها، وليست بحقيقة علمية حتى نس‍تند عليها في حوارنا، ونقاشنا.

ثانيا يا أخي الفيلسوف، ألا ترى أنّك تخالف آباءك الذين هم أعمدة الفلسفة الغربية من ديكارت إلى كانط..... !

-لماذا لم يلحدوا.....؟ بل على العكس كانوا يعلنون إيمانهم.....؟

السيد نجيب:

بالنسبة للفيلسوف الأكبر ايمانويل كانط، فقد قالها صراحة في كتبه أنّ أدلة كلا الطرفين متكافئة، فالمؤمن له أدلّته، والملحد له أدلّته، ولا يمكن ترجيح كفة أحدهما على الأخر، أمّا إيمانه هو فأنا أراه تَقِيَّةٌ منه وحفاظا على نفسه من غطرسة رجال الدّين...و كذلك فهو كان يرى أنّ الدّين ضروري من الجانب الأخلاقي فقط، ولكنّنا نحن الآن نرى مجتمعات ملحدة، أو غير متديّنة، ومُتَخَلِّقَةٌ، وأحسن من تلك المُتَدَيِّنَةَ.

ورينيه ديكارت كذلك، رأيه قريب من رأي ايمانويل كانط، فهو يعتبر أنّ الإيمان تسليم، واستدل بفكرة الإنسان الكامل الموجودة في أذهاننا، فجودها في ذهن الإنسان وهو يعلم أنّه ليس بكامل دليل على وجودها حقيقة.....و لكنّه ليس بالدليل العقلي القوي، ففي أذهاننا أفكار أخرى كثيرة غير موجودة في الواقع، كدجاجة تتكلم، أو مائدة ترقص.....أو غيرها من الأمثلة، ولكنّ هذا لا يُجْبِرُ عقلي

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

على التّسليم بوجودها حقيقة.

ومع ذلك، فإنّ إيمان هؤلاء الفلاسفة ليس كإيمانكم، فهم يدينون بدين أخر لا يتقاطع مع ما تعتقدون إلاّ في فكرة وجود خالق.

لكن هناك فلاسفة آخرون رفضوا فكرة الإيمان كبرتراند راسل الذي كان دائما يقول أنّه لا يوجد دليل عقلي صريح يجعلني أؤمن...و لو ظهر هذا الدليل لأمنت، ولكنه لم يظهر ويبدو أنّه لن يظهر.

السيد برهان:

فَيْلَسُوفُكَ الكبير برتراند راسل هذا الذي يُروَي عنه أنّه سُئِلَ ذات مرّة وقد بلغ من العمر الشيخوخة، فقال له أحد:

- لماذا لم تؤمن وقد قاربت الموت، وستلقى رَبَّكَ.....؟

-فردَّ قائلا: لا يوجد دليل واضح مقنع يجعلني أؤمن، ولو مت، ولقيت الله كما تزعم لقلت له:

-لماذا لم تعطنِ الدّليل العقلي المقنع على وجودك....؟

فسبحان الله لهذه الجرأة...أهذا هو الإنسان الذي كان نطفة بالأمس يجادل ربّه اليوم...؟

السيد نجيب: أنا مع ما يقوله هذا الفيلسوف لأنّ الدّين عقبة كَؤودٌ أمام العلم..

قل لي بربِّك أيستطيع العلم أن يصل إلى ما وصل إليه في ظلِّ سيادة وحكم الدّين.....

أليس علماء الدّين عموما، وعُلَمَاؤُكُمْ ضدّ العلم.....

أليس عندكم شيوخ أنكروا كروية، ودوران الأرض حول الشّمس، وآخرون أنكروا صعود الإنسان إلى القمر..... لولا التخلص من الدّين في أوروبا ما استطاع العلماء أن يدخلوا إلى أغوار الخلية، وإلى الجنين في رحم المرأة، وما استطاعوا حتى البحث في ملكوت السّماء...هذه أمور، الدّين له رأي محسوم فيها حسب شيوخهم وشيوخكم، فلا يمكن للعلم أن يُفْتِيَ فيها.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

زِدْ على ذلك، ألا يرفض شيوخكم الفنّ، ويعتبرونه من الشّيطان حتى المستنيرين منهم ينظرون نظرة المتحفّظِ على الفنّ، أو حتى تقييده ببعض القيود.....و الفَنُّ لا يعيش، ولا يبدع إلاّ في ظلّ الحرية، والحرية المطلقة من كل قيد.

زد.....ألا ينظر شيوخكم نظرة دونية للمرأة مع أنها أبدعت أشد إبداع في الغرب الحر الآن.

السيد برهان:

كل ما قلتَه منافٍ للحقيقة، ليس ديننا من يقول ذلك، فديننا دين العلم ودين الحرية، والدّين الوحيد الذي كرّم المرأة أشد تكريمٍ.

هذا هجوم منك على علمائِنا اشْتُهِرْتَ به كثيرا يا سيد نجيب، حتى أنّك كتبت مقالا الشّهر الماضي في مجلة التنوير المشهورة باتجاهاتها الإلحادية وجعلت من عنوان المقال: -بين الدين والتدخين-

لا يحق لك يا أخي أبدا أن تشبِّه الدّين بالتدخين.

السيد نجيب:

هذا يا أخي الفاضل تأويل لما قُلْتُهُ في المقال، فأنا لم أشبّه الدّين بالتدخين وإنّما شبّهت حالة المتديّن بحالة المدخّن فقلت:

- المدخن مع اعتقاده بأن التدخين مُضِرٌّ بالصّحة بكل الأدلّة العلمية والواقعية أمامه، برغم كل ذلك لا يستطيع الإقلاع عنه، بل في كثير من الأحيان تجده يريد أن يثبت لك عكس ذلك فيقول مثلا:

فلان ثلاثون سنةً يدخِّن ولم يحدث معه شيء، أو يقول:

أنا أحسُّ براحة لمّا أدخّن، فكل هذه حجج واهية يبرِّرُ بها عدم قدرته على الإقلاع عنه.

وقلت كذلك بالنسبة للمتديّن، فهو كالمدخّن مهما أقنعته بأن الدّين مضاد للعقل، وأنّه لا سبيل للتقدم دون تحييد الدّين عن الحياة فإنّه يبقى متديّن بل في كثير من الأحيان تراه هو أيضا يحتجّ لك بحجج فيقول:

-إن في الغرب شذوذ ، وانتحار، وكلها حجج واهية ليبرّر عدم قدرته النّفسية

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

على التّخلص من الدّين.

غضب السّيد برهان كثيرا مما قلت، وقام من مكانه وشتمني،و كاد يضربني لولا تدخّل بعض من الجمهور.

انتهت تلك المناظرة، وتأثّر كثير من الجمهور بما قلت، وراجت أفكاري في الأوساط الإعلامية، والصّحفية، وأصبحت أرى حججي تلك في المنابر الإعلامية في مواجهة الشيوخ، وحتى أنّ مجلة التنوير تلك وضعت صورتي بشكل دائم في صفحتها الأولى.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الكوخ

في الرّبيع من تلك السّنة.....كان اليوم عطلة وكنت مارًا بمحطة نقل المسافرين في المدينة، فَلَمَحْتُ على جانب الطّريق طالبا كنت قد أشرفت على رسالته للماجستير في الفلسفة، فَدَنَوْتُ منه بسيارتي، وقلت:

- صباح الخير يا عمر..... إلى أين أنت ذاهب.....؟

سُرَّ عمر بلقائي كثيرا، وقال:

- إلى البيت يا أستاذ...لكنّ الحافلات اليوم في إضراب.

- فقلت: وأين بيتك...؟

- قال: في مدينة بُوحَجَّار.....

- فقلت: اركب.....فأنا ذاهب إلى حَمَّامِ بني صالح بالقرب من بيتك.

دار حديث طويل بيني وبين عمر علمت منه أنّ ذلك الحمَّام تَمَّ تطويره من طرف شركة يابانية جعلت منه مركزا للعلاج الطّبيعي يأتيه النّاس من كل فَجٍ للعلاج.

بقيت في الحمّام أكثر من ساعتين، أستمتع بتلك المياه الطّبيعية السّاخنة التي تُزِيلُ التّعب عن المرء كما تزيل الشّمس ظلام الليل، وتنشر نورها فتجعل منه صبَاحا تملؤه الحيوية، والنشاط.....

خرجت بعدها لأتمشى قليلا، فأخذتني تلك الخضرة التي تملأ مَدَّ البصر تصافحها زُرْقَةُ السّماء في الأفق، فجعلت أمشي لا أدري إلى أين حتى وصلت أعلى الربوة بجانب الحمّام كان على الجهة الخلفية منها طريق ضيّقٌ تحفُّه أشجار الصّنوبر ينتهي إلى شجرة بلوط كبيرة بجانبها كوخ من خشب.....لمّا دنوت منه أكثر رأيت شيخًا ساجدا يُتَمْتِمُ بكلمات زلزلت فكري قائلا:

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- أللّهم إنّي أعبدك، ولا أحتاج إلى دليل....فالدّليل هو من يحتاج إليك....يا ربي إنّهم يبحثون عن الدليل، وتركوك، ولو بحثوا عنك لوجدوا الدليل.

اهتزّت ركبتاي ممّا سمعت، واقشعرّ بدني...وَيْكَأَنَّهُ يقصدني.

انتظرت حتى أنهى صلاته...و لمّا سلّم رآني بجانبه...فقام من مكانه وكان شيخا كبيرا في السّن طويل اللحية، محدودب الظّهر قد انتصر البياض في رأسه...

- فقال: السّلام عليكم يا ولدي ، ومدّ يده ليصافحني...أحسست بدفء، وطيبة في عينيه لم أرها في غيره.

وكانت عادتي دائما طرح أسئلة فلسفية على النّاس البسطاء حتى أرى كيف يفكرون....؟..و كيف يعتقدون...؟

- فقلت له: مالي أراك تبكي ساجدا...أفي الأمر ما يبكي...؟

ابتسم الشيخُ كأنّه يملك من الفكر ما لا أملك وقال:

- البكاء يا ولدي هو متنفس الإنسان إذا ما احتمل حِمْلًا كان أكبر من طاقته...فالطفل الصّغير يبكي إذا ما آذاهُ شيء، أو جاع، ولم يستطع تَحَمُّلَ الجوع...و المرء يبكي إذا ما جاءه خبر سار كان ينتظره بشدة، وكانت فرحته أكبر من طاقة تحمّله...و المؤمن يبكي إذا ما استشعر عظمة ربه جلّ وعلا، وكان استشعاره أكبر من حِمْلِهِ، وأكبر من طاقته.

- فقلت: وهل للإيمان أدلّة فضلا على أن يكون له حمل يبكي الرّجال.....؟

- فقال: أَظُنُّنِي عرفتك....ألست ذلك الشّاب الذي أرسلته الدولة ليأتي لنا بنور يُنِيرُ ظُلْمَتَنَا، فجاءنا بضياء لا يزيد الظّلام إلا عتمة، وسوادا.

- فقلت: إن كنت ترى ما عندي هو السّواد...فأرني البياض إذن....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الصَّفْعَـــةُ الأولـى

جلس الشّيخ عبد الودود، وأجلسني بجانبه.....ووضع يده على كتفي قائلا:

- أ لَكَ وَالِدَانِ يا ولدي....؟

- فقلت: نعم، فقال:

- هل أنت مُتَيَقِّنٌ من أُبُوَتِهِمَا لك.....؟

أدهشني سؤاله هذا، وقلت:

- والله لم يخطر ببالي يوما عكس ذلك....

- فقال: ذلك لأنهما قد أغدقاك بعطائهما طيلة حياتك، وترى رعايتهما، وحبّهما لك ليل نهار بل كل ساعة وكل دقيقة.

ثم رفع الشيخ رأسه إلى السّماء، وقال:

- لكن مال هذا الإنسان يشكّ في وجود ربه، وهو يرى آلاءه، ونعمه كل حين.....شمس تنير له الأرض، وليل يغطيه بسكونه، وأمطار تنبت له الزرع، وعين يرى بها الخلق، وسَمْعٌ، وحِسٌّ و.....

- و تلا قائلا: (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا).

- ثم قال: سأذهب مع هذا الإنسان في جداله، وأفترض أن هناك شخصا قد شكّ في أُبُوَّةِ والديه له، فقرّر التّأكد من صِحَّةِ هذا الشّك، وذهب إلى الأطباء، والمختصين، وأجرى تحاليل مخبرية اكتشف من خلالها أنّ والديه ليسا بوالديه.

- فهل يحق له يا ولدي أن يقول بعد ذلك أنّه وُلِدَ من غير أَبٍ وأُمٍ.....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فهذا استنتاج باطل، بل ومضحك في نفس الوقت... كان حَرِيًا به البحث عن والديه الحقيقيين حتى يجدهما، وحتى لو لم يجدهما بعد بحث طويل لا يمكنه أبدا أن يفترض أنّه وجد على الأرض من غير أب وأم.

ثم التفت إلي الشيخ، وقال:

- هل أنت معي يا ولدي فيما أقول.....؟

- فقلت: قطعا أنا معك.

- فقال: لكنّ الإنسان قد فعلها يا ولدي..... !

في بدايات النّهضة الأوروبية درس ذلك الإنسان الأديان، ومَحَّصَ أدلّتها في وجود الله جلّ وعلا، وعندما وجد في بعض تلك الأديان تناقضات عقلية، وأخطاء تاريخية خرج بنتيجة خاطئة، وهي عدم وجود الإله سبحانه.....

أليس هذا بالعَبَثِ.....!....

كان لزامًا عليه أن يظلّ يبحث عن ربّه الذي أغدقه بنعمه حتى يجده، وحتى لو لم يجده في شروحات علماء الأديان الأخرى، فلا يحق له أن ينفي وجوده، بل يجب أن يبقى يبحث، ويبحث حتى يجده...

ولو بحث في مصادر الأديان الثابتة لوجده يا ولدي في قوله تعالى:

(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ...).

ولوجدوه في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ○ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ...).

ولوجده في: (...أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ...).

كانت تلك صفعة أولى من الشّيخ لأني كنت في صغري أتلو تلك الآيات، وأحفظها، ولم أكن أفهم مقصودها الفعلي....لكنّي الآن أراها تكلمني، وتعاتبني.....

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ثم قلت له: حجة بالغة يا شيخ لا غبار عليها..... لكن، أليس لهذا الإله إله أخر أَوْجَدَهُ.....صحيح، أنا لي أب، ولكنّ أبي له أب، وجدّي له أب، وهكذا..... وعقلي يقبل بهذا التسلسل... ولكنّه لا يقبل بإله أوجد هذا العالم، بل يطالبني بالإجابة على السؤال الأخر - من أوجد هذا الإله....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الصَّفْعَـــةُ الثـانيـــة

ردّ الشيخ قائلا:

- هَبْ أنّ مجموعة من الأعداد تنازعوا أمرهم بينهم عن أصلهم.....و هب أنّ هذه الأعداد كانت كبيرة.

فقالت مجموعة منهم:

إنّ أصلنا هو الآلاف، فكلّنا يتكون من مجموعة من الآلاف، فالعدد 0001964 مثلًا يتكون من 4 ألاف، و60 ألفا، و900 ألف، والف، والف..

فردّت مجموعة أخرى قائلة:

إنّنا لا نتكون فقط من الآلاف، بل من المئات لأن 4000 تتكون من 1000، و1000، و1000، و1000.....و ألف تتكون من 10 مئات، فالأصل إذن هو المئات.

وقالت أعداد أخرى:

لا ليست المئات، وإنّما هي العشرات لأن المائة هي في الأصل 10 عشرات.....و هكذا حتى وصلوا بنقاشهم ذلك إلى أنّ الواحد هو أصل الأعداد فمنه تتشكل كلها.....

فالعشرة تتكون من: 5 + 5 .

و5 هي 2 +2 + 1.

و2 هي 1 + 1.

والواحد هو واحد لا أصل له، وإنّما هو الأصل.....

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

اقتنعت الأعداد تلك في أول الأمر بنتيجة هذا الجدال، وأيقنوا أنّ الواحد هو أصلهم، وهو أصل نَفْسِهِ.....

لكن بعد فترة جاءت مجموعة من الأعداد المُشَاكِسَة، فقالت لسنا مقتنعين بأنّ أصلنا هو الواحد.....فقولكم أنّ الواحد هو أصلنا يجعلنا نتساءل...من أين جاء ذلك الواحد...؟..لا يمكن لعقولنا أن تقبل أنّ الواحد لا أصل له، وتقتنع أنّ أصله من نفسه...

فأعادت تلك الأعداد نفس النّقاش، والحوار مع هذه الأعداد المشاكسة وأقنعتها، وقالت لها لقد حلّلنا، وفصّلنا، وبحثنا فوصلنا إلى أنّ الأصل هو الواحد، وإن كان لكم أصل أخر قد جاء منه الواحد فأتونا به.

بُهِتَت تلك الأعداد في أوّل الأمر، ثم قالت:

قد يكون الصّفر هو أصل الواحد، فردُّوا عليهم كيف للصّفر أن يكون أصلا للواحد....؟ فجمع ألاف الأصفار لا يؤتي إلاّ صفرا...

فقالوا لهم:

قد يكون الصّفر قد تحوّل صدفة إلى واحد.

فردّ الآخرون: كفانا جدالا عقيما....كيف للصّفر أن يأتيَ بالواحد.....الواحد هو الواحد هكذا.

ولا زالوا كذلك حتى ظهر عدد أخر أكثر مشاكسة من الآخرين فقال:

- يا جماعة، إنّ الواحد ليس هو أصل الأعداد، وإنّما هو مُكَوَنٌ من أعداد أخرى.

- فقالوا: وهل توجد أعداد أخرى غيرنا...؟

- فقال: نعم، إنّها الأعداد العُشْرِيَة.....لقد اكتشفناها حديثا، فالواحد يتكون من:

$0,5 + 0,5 = 1$

أو من $0,6 + 0,4$

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

أو من: 0,2+0,2+ 0,2+ 0,2 +0,2

والتالي، فالواحد ليس الأصل.....يجب علينا أن نبقى نبحث حتى نصل إلى أصلنا الأوّل...

أحدثت تلك المناقشة اضطرابًا لدى مجموعة كبيرة من الأعداد، ولكن سرعان ما ظهر عدد حكيم أخر فقال:

- هذه الأعداد العشرية يا جماعة، من أين جاءت...؟من هو أصلها....؟إن لم يكن الواحد.....لماذا تجادلون.....؟

فالواحد هو أصلكم مهما بحثتم، وشكّكتم، ثم قال :

- 0,5 هذه، ألم تأتي من الواحد تقسيم اثنان (1÷2)

- 0,6 أتت من: 0,2+0,2+0,2

- 0,2 أتت من: 1÷5

إذن: 0,6= + + = =

وبالتالي، فالأصل دائما هو الواحد.

ثم التفت إليَّ الشيخ، وقال:

- ما رأيك يا نجيب.....؟

- فقلت: عقلي يسلِّم بأن الواحد هو أصل الأعداد، وأنّ هذه الأعداد تتناقش نقاشا عقيما لا جدوى منه.

فقال الشيخ:

لو فرضنا أن هذه الأعداد عاقلة فعلا، وسمعتها تتناقش أمامك لاستغربت استغرابا كبيرا من أقوالهم، لأنّك تعلم بداهة أن الواحد هو الأصل، ولا أصل له فهو أصل نفسه، فالواحد واحد هكذا...

وقد تجده نقاشا مُمِلاًّ، وكذلك نحن يا ولدي عندما نتناقش في قضية وجود الله جلّ وعلا.....

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

كان حريًّا بنا كما سلّمنا في الرّياضيات أن الواحد هو أصل الأعداد، وأن أصله من ذاته أن نسلم كذلك بأنّ الله جلّ وعلا هو مُوجِد كل شيء، ووجوده من ذاته، فهو الواحد الأحد، وهو الصّمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد.

فقلت بيني، وبين نفسي:

ما هذا الرّجل.....؟ من أين جاء.....؟إنّه يوشك أن يهدم ما بنيته لسنين.....ماذا أفعل.....؟هل أقطع الحديث معه.....؟ إنّ حجته وبداهته قوية جدًا.....

ودائما عقلانيتي، وفضولي أبقياني، فقلت له:

وهل لهذا الإله الواحد كما تقول بصمة في ما خلق تدل عليه.....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الصَّفْعَـــةُ الثّـالثــة

فقال الشّيخ:

أليس الفنُّ هو ذلك النشاط الإنساني الذي يستطيع من خلاله الفنان إيصال أحاسيسه، ورسائله إلى المتلقي....؟

والفنّان لا يكون فنّانا إلاّ إذا كان مبدعا، ففي فنّ الرّسم مثلا: ليس كل رسّام فنّانا، لأنّ الفنّان هو الذي يرسم مشهدا فيه أحاسيس، ورسائل يريد أن يلقيها إلى المشاهد الذي يرى لوحته...

أمّا إذا رسم مشهدا يخلو من رسائل، وتعابير، فهو رسّام (فوتوغرافي)، وليس فنّانا مبدعا.

إذن: لا بدّ وأن يكون الفنّان عاقلا مفكِّرا مبدعا، وإلاّ فلن يؤثِّر فيك.

فمن أبدع تلك المشاهد الفنية الجبارة في الكون الذي نحيا فيه.....؟

أأبدعته الطّبيعة التي ليس لها لا عقل، ولا فكر، ولا إبداع...

لابد وأن تكون هناك ذات عَلِيَّةٌ عظيمة قد أبدعت كل ما في الكون من جمال.

لنأخذ مثلا لوحة من تلك اللوحات الفنية الكونية، وندرسها:

وليكن مشهد شروق الشّمس، ومشهد غروبها، ولنفترض أن هناك إنسان لم ير هذين المشهدين من قبل قط..... و نضعه في مكان لا يمكنه تحديد الشّرق من الغرب.... ثم نوقظه في لحظة الشّروق أين تكون الشّمس منتصفة، نصفها قد أشرق، والنّصف الأخر مازال غائبا.

ثم نوقظه في لحظة الغروب أين تكون الشّمس أيضا منتصفة، قد غرب

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

النّصف منها.

ولنقل له، صِفْ لنا المشهدين، وقل لنا أيّهما يدلّ على الشروق، وأيّهما يدل على غروب الشّمس.....؟

حتما سيقول لك واصفا لمشهد الغروب بأنه يغلِبُ عليه الاحمرار الدّاكن الذاهب إلى السّواد، وأنّ كلَّ المشهد يدلّ على السّكون، والهدوء الذي يوحي بنهاية شيء ما.

أمّا مشهد الشّروق فتراه منيرا إضاءته متزايدة يدُلّ على ميلاد شيء جديد، وكل ما في المشهد يوحي بالحيوية، والنشاط.

هذا مع أن مصدر الإضاءة واحد، والشمس منتصفة في كلا المشهدين، وكل أجزاء، وأدوات المشهدين واحدة، فالسّماء هي السماء، والجبال هي الجبال، والشّمس هي الشّمس و.....

فمن أبدع هاتين اللوحتين الفنيتين العظيمتين في الطّبيعة.....؟

لماذا يكون المشهد في الصباح بذلك النشاط، والحيوية، وويكون الغروب مسودا داكنا ساكنا.

لابد وأن هناك بصمة إبداع في هذين المشهدين، والإبداع كما سلمت معي من قبل يحتاج إلى عقل مفكر مبدع، فلمن هذه البصمة.....؟

أليست لذلك الإله الواحد الأحد يا ولدي.....

وفي الكون مشاهد كثيرة كهذه، ولكن الأبصار قد تعمي أحيانا، والعقول قد تَغْتَرُّ بنفسها أحيانا أخرى، وتتحرك فيها نفخة روح الإله التي نفخها فيها في بداية الخلق، فيظنُّ الإنسان نفسه هو الإله، ويسعى لإثبات ذلك، فيحاول طمس كل الآيات الدّالة على الله الواحد الأحد، ألم تسمع ما قاله عز وجل:

(قل انظروا ماذا في السموات والارض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون).

لم أتمالك نفسي إلاّ ودموعي تسيل على خدي، وصوت يدفع حلقي ليصيح قائلا:

يا ربي قد ضللّت طريقي، واغتررت بنفسي، فأعفو عني.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وأحسست بندم ذلك الطفل الذي خرج يبحث عن أمّه، وفقد طريقه فزاد حزنه حتى جاءت هي تبحث عنه.

جثَوْتُ على ركبتي لأكثر من ساعة أبكي، وأَتَحَصَّرَ على ما بدر مني طيلة حياتي.

وقلت للشّيخ:

- يا شيخي، لقد أوغلت في الإلحاد إلى عنقي، وأنا الآن أحسّ بالخجل من نفسي، ومن ربي.....

- فقال: بقدر شكِّك الكبير سيكون إيمانك إن شاء الله أكبر...ألم ترى أن الإنسان يزداد تمتعه بالطّعام كلّما ازداد جوعه، ويتضاعف تلذذه بالماء كلّما عَظُمَ عطشه...و كذلك يا ولدي بقدر قوة شك الإنسان يكون إيمانه أقوى وأعظم.

ثم ضمني الشّيخ إلى صدره، وأدخلني إلى كوخه، فإذا به مكتبة عظيمة تحوي كل كتب العالم تقريبا، من أرسطو إلى الغزالي، وابن تيمية، وابن رشد وصولا إلى ديكارت، وهيجل، وراسل، وغيرهم...و كل كتاب يحوي في أخره تلخيصا من الشّيخ، وردوده عليه.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الـزّجـاجـــة

فأجلسني على سريره، وناولني كوبا من الماء.....فقلت بيني وبين نفسي لن أبرح هذا المكان حتى أسأله عن إشكالات كانت تراودني في مسيرتي الفكرية....علّه يكون الدّواء لدائي....فقلت:

يا شيخ، لماذا اختلفت الأديان في صورة الإله....؟ فواحد يصفه بطريقة لا تليق بالإنسان فما بالك بالإله..... !..و أخر يراه منزّها عن كل شيء، وأخر يراه كإنسان عظيم، وبين هذا، وذاك تَصَوُّرَاتٌ عديدة...لماذا...؟

فردّ الشيخ رداّ مطولا، فقال:

مثل الذين يجادلون في وجود الله كمثل قوم دخلوا بيتًا عاليَ السّقفِ ينزل من ذلك السّقف خيوط من قماش، وكان في أعلى البيت نافذة كبيرة مغلقة بالزّجاج، وكان بجانب النّافذة شمعة كبيرة مشتعلة.....فجعلوا يتساءلون بينهم.

- فقالت جماعة منهم:

لابد لنا من غلق تلك النافذة حتى يتسنى لنا العيش بسلام في هذا البيت ظنًّا منهم أنّ تلك النافذة مفتوحة، أو فارغة لا زجاج فيها.....و قال آخرون منهم:

...إنّ تلك النافذة مغلقة بالزجاج، ولكنّنا لا نراه، لأن الزجاج لا يُرَى.....

- فردّ واحد منهم:

وما دليلكم على وجود الزجاج في تلك الفتحة...؟

- فقالوا: لو لم يكن فيها زجاج لوجدنا بقايا غبار في البيت قد دخل من النافذة.....

وقال أخر: صحيح، لا يوجد أثر للغبار في البيت، وكذلك نحن لا نرى تلك

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الخيوط من القماش تتحرك، فلو كانت النافذة مفتوحة لتحركت الخيوط بفعل الرّيح، ولانطفأت تلك الشّمعة، أو حتّى تحرّك لَهِيبُهَا والذي لا نراه يتحرك.

ثم قال: وجود الزجاج في النافذة أكيد لا جدال فيه.....ألستم معيَ في رأيي هذا يا عقلاء....؟

فقال الكثير منهم: والله إنّها لأدلة قوية على ما تقول...

ولكن بقي جماعة قليلون منهم يجادلون، فقالوا:

إنّ ما قلتموه يحتمل الصّواب، ولكنه ليس بالدّليل الأكيد الواضح،فنحن لا نرى تلك الزّجاجة، ولا نصدِّق إلاّ أحاسيسنا الملموسة، فأكبر دليل على عدم وجود الزّجاجة هو عدم رؤيتنا لها، ولن تقنعونا بأدلتكم هذه...

فالزّجاجة التي تتكلمون عنها لا نراها، وبالتالي فهي غير موجودة، ولابد لنا من وضع شيء على تلك الفتحة في أعلى البيت حتى نمنع دخول المطر، والغبار.....

- فردَّ الآخرون:

ما تقولونه هذا دليل عليكم، فالأمطار، والغبار لم يدخلا علينا، ونحن هنا لمدّة، وهذا دليل على وجود الزّجاجة، ولو وضعتم حاجزا على تلك الفتحة كما تقولون لمَنَعْتُمْ النّور، والضّوء من الدّخول إلى البيت.....

أتريدون أن تظلموا لنا المكان..... إنّكم لمجادلون، فالأكيد أنّ تلك الزجاجة هي من أرقى أنواع الزجاج، وأصفاها لذلك نحن لا نراها بِأَعْيُنِنَا، والزجاج الذي نراه ليس بزجاج خالص، وإنّما هو شبيه به أو زجاج ممزوج بمواد أخرى.

وبعد فترة جاء شخص منهم بجهاز لتحليل الضّوء، ووضعه أمام الضّوء الداخل من النافذة، فأثبت الجهاز أن الضّوء قد مرَّ على حاجز زجاجي.....

فَرِحَ القوم بهذا الدّليل، وقالوا للمجادلين:

هذا دليل لا مِرْيَةَ فيه.....

فصدَّق البعض منهم، وآمنوا بوجود الزجاجة، وظلَّ البعض الأخر يجادل جدالا بيزنطيا لا منطق، ولا عقلانية فيه.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

-ذلكم القوم يا ولدي هم نحن معشر البشر على هذه البسيطة.

-وذلك البيت هو الأرض التي خُلِقْنَا عليها.

-وتلكم الزجاجة هي وجود الإله، ولله المثل الأعلى سبحانه، فمن كماله ألا تدركه الأبصار، ولا تحيط العقول به علما.

-وتلك الخيوط، والشمعة الكبيرة هي الآيات، والبراهين الدّالة عليه.

-وتحليل الضوء الداخل من النافذة هو الدليل العلمي، والإعجاز العلمي الموجود في القرآن الكريم.

-أمّا المجادلون فهم الملحدون، فمنهم من قال بتكافؤ الأدلة العقلية على وجود الله، وهم الفلاسفة الذين إمامهم الأكبر إمانويل كانط؛ وفكرة تكافؤ الأدلة هذه مغالطة فكرية، وعقلية كبرى فوجود الله من البديهيات، والمسلمات التي يؤمن بها العقل، ويسلِّم بها، ثمّ يبني عليها في تفسيراته، وتحليلاته.

فالبديهية كما نعرف، العقل يعتقد بها بداهة.

فالعقل يعرف بداهة أنّ الشخص لا يكون قائما، وجالسا في نفس الوقت، ويسلِّم بهذا..... ولكنَّ الفلاسفة أرغموا ذلك العقل على مناقشة البديهة، فأحتار، وأختلف في أحكامه.

فمثلا الفيلسوف برتراند راسل أنكر وجود الله لأنه أراد من الله جلّ وعلا أن يعطيه دليلا يُجْبِرَهُ على الإيمان، ونَسِيَ ذلك الفيلسوف أنّ الإيمان ليس بالجبر، والإكراه..... فبحكم أنه عالم رياضيات يريد التفاعل مع الإيمان كالرّياضيات، وهذا خطا فادح..... فالله يريد من عبده أن يؤمن، وهو حر لأنه سبحانه قادر على أن يجبره على الإيمان حيث يقول:

(إِن نشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ...).

ولكن الله جلّ وعلا يريد مؤمنًا حرًا باختياره يا برتراند راسل...

ففي علم الرّياضيات نحن مجبرون على القول بأن اثنان أكبر من واحد، ولسنا مخيرين في ذلك... وراسل يريد من الإيمان أن يكون هكذا.....و لو كان هكذا ما كان إيمانًا حقيقيا.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الـقـصـــر

فقلت للشيخ: لماذا إذن أشرقت شمس الحضارة العقلية العظيمة في العصر الحديث في أوروبا، ولم تشرق على الدولة الإسلامية...؟و لماذا تقدموا وتخلفنا نحن....؟ لماذا أُثْمَرَتْ أشجارها عندهم، وذَبُلَت عندنا إن كان تصوُّرنا عن الله أنقى من تصوُّرِهم...؟

فقال: إنها مشيئة الله يا ولدي يختص برحمته من يشاء...

فقد أنزل القرآن على محمد العَرَبِي فِتْنَةً لأهل الكتاب الذين اغترُّوا بأنفسهم، وزعموا أنّهم شعب الله المختار....ففتنهم بالرسالة الخاتمة، وجعلها في غيرهم ، حتى يتبيَّنَ المؤمن من المنافق.

وكذلك الحضارة العظيمة هذه يبدو أنّ الله جلّ وعلا قد جعلها فتنة للمسلمين الذين اغترَّ جانب منهم، فظنَّ أنّه مقدس وأنّه الفريق الناجي الوحيد من العذاب يوم القيامة، وأن ما دونهم في النّار.

فقالوا زعما منهم أنّ المسلم مهما فعل من جُرْمٍ، فهو خالد مخلّد في الجنّة، والأخر هو خالد في النّار مهما فعل من خير قد يكون أعظم من ذلك الذي فعله المسلم.

فأشرقت شمس الحضارة في الغرب حتى يعتبر المسلمون عندنا، ويدركون أنّ الله ربنا، ورب كل إنسان وليس نحن فقط.

ثم سكت الشيخ قليلا...و قال:

كان هناك قصر عظيم، دخله مجموعة من النّاس...و كان القصر مكَوَّنٌ من بيتين متلاصقين، واحد من جهة الشّمال، والأخر من جهة الجنوب...

فانقسمت تلك الجماعة من النّاس إلى مجموعتين، سكنت واحدة البيت الشّمالي، والثانية البيت الجنوبي، ولمَّا دخلوا القصر عَظَّمُوهُ، فقد كانت

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

هندسته جبارةً، يحوي مداخل ومخارج متشعبة، تتخلّله نوافذ زجاجية، وكان فيه آلات، وأجهزة معقدة.....

ظلّت تلك الجماعة منبهرة بذلك التكوين العجيب لهذا البيت لفترة طويلة.....و قالوا لابد لنا من معرفة أسرار هذا القصر، ومعرفة مداخله، ومخارجه، والتّحكم فيه حتى نهنأ بالعيش الكريم فيه...

لازالوا كذلك حتى جاءهم مبعوث من صاحب القصر.....دخل البيت الجنوبي منه، وقال لمن فيه:

أنا مرسل من مالك القصر، جئتكم برسالة منه تمكنكم من التحكم في خباياه، والعيش فيه بسلام.

رَحَّبَتْ به تلك الجماعة ترحابًا يليق به، وأنصتت لما يقول...

فقال المبعوث:

إنّ في هذا القصر زرٌ سرِّي...فاقترب منه، وضغط عليه فإذا بالنور يسري في كامل البيت، ازدادت فرحة القوم بذلك المبعوث وقالوا له:

لكن في هذا البيت أشياء كثيرة غامضة، وآلات كبيرة نريد أن نكتشف الغامض منها، ونُشَغِّلَ تلك الأجهزة، والآلات.

فقال المبعوث:

ذلك دوركم الذي يريد أن يختبركم فيه مالك القصر، فالزّر الذي ضغطت عليه قد أشاع نورًا قضى على كل ظلام البيت، مما يسهِّلُ عليكم السّير فيه، والغوص في أعماقه لتكتشفوا أسراره....

لكن بعد ذهاب ذلك المبعوث حدثت نزاعات بين أفراد ذلك البيت لفترة جاء بعدها جيلٌ، فأختلف فيما قاله المبعوث...

ظهر رجل منهم كان أسمه شيخان، فقام في سكان ذلك البيت مخاطبا :

يا سكان البيت، إنّ الطريق الوحيد للسيطرة، والتّحكم في هذا البيت، والتمتع بمنتجاته هي أن نحرص على الزّر الذي ضغط عليه المبعوث، ونحافظ على نوره الذي يسري في البيت، وأما تلك الآلات، والأجهزة فإنّها ستمشي، وتشتغل بفعل ذلك النور، فما علينا إلاّ أن ننتظر، ونصبر، ولا نخالف أوامر المبعوث

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وإلاّ فإن النّور سينقطع، وينهار البيت، ويغضب علينا مالكه الذي وهبه لنا لنعيش فيه، وأكّد لهم شيخان أن ما أقوله لكم هذا ثابت عمّا قاله أبي، وما قاله جدي لأبي الذي بدوره قد سمعه من المبعوث مباشرةً...

اقتنع جمهور من النّاس بما قال شيخان، ولكن جماعة أخرى لم تقتنع وكان على رأسهم السيّد فهمان الذي كان يؤكد دائما على أن السّبيل الوحيد للسّيطرة على القصر، والتمتع به، هو أن نسعى بمجهوداتنا الفكرية، والعقلية لنفهم خبايا القصر، ونُشَغِّلَ أجهزته، وآلاته، وأنّ ذلك النور الذي أشعله المبعوث من قبل فَلِكَيْ نرى به بعضنا ويساعدنا على رؤية خبايا، وأجهزة القصر ممّا يمكننا من فهمها، وتشغيلها.....و ما قلته لكم هذا هو محصلة استقرائي لكل الكلمات التي قالها المبعوث، ووصلت إلينا...

لم يقبل شيخان، وجماعته رأي فهمان، ونشب صراع بينهم ابتدأ بالنقاش، والمجادلة، وسرعان ما وصل إلى العراك، والقتال.

مع مرور الأيّام تغلَّب شيخان، وجماعته، واضطهدوا فهمان، وأتباعه، مما أدى بفهمان إلى التَّسَرُّبِ إلى البيت الشّمالي لعلّه يجد من يأخذ بنصائحه.

دخل فهمان البيت الشّمالي، فوجد جماعته كذلك هم في صراع أكثر دموية من ذلك الذي هرب منه في البيت الجنوبي، فقام فيهم، وقال :

يا جماعة، عندي حلول تمكِّنكم من فهم خبايا هذا القصر، والسّيطرة عليه، ثم ضغط على الزّر الذي قال به المبعوث في البيت الجنوبي.....فأنار لهم فهمان البيت الشّمالي، وأوصاهم أن يحافظوا على هذا النّور الذي ينير لهم القصر، ويمكنهم من السّير فيه، واكتشاف أسراره، وتشغيل آلاته، وأجهزته...

أخذت جماعة البيت الشّمالي بنصيحة فهمان، وساروا في أعماق، ودهاليز ذلك القصر بكل ثقة، وشجاعة، ولم تَمْض مدة طويلة حتى تمكّنوا من اكتشاف بعض المناطق في القصر، وتشغيل بعض آلاته البسيطة منها، ولكنهم تَنَكَّرُوا بعد ذلك لفهمان، واستبدلوا النور الذي قال لهم أن يحافظوا عليه وإلاّ فإنّ هذا القصر سينهار، وتَخْتَلُّ موازينه، واستبدلوه بنور قد صنعوه بأنفسهم.....

بعد فترة اكتشف أصحاب البيت الشّمالي أسرار عظيمة في ذلك القصر، وتمكنوا من تشغيل آلات، وأجهزة عديدة بداخله، فأصبحوا يستطيعون فتح العديد من الأبواب التي كانت مغلقة، وسراديبه بواسطة رموز، وشفرات تمكّنوا من اكتشافها...و صنعوا بواسطة تلك الأجهزة، والآلات ألبسة لهم، ومأكولات، وزاد غرورهم بما وصلوا له من تقدم، وتطور حتى قالوا بينهم وبين أنفسهم:

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لابد أن نذهب إلى البيت الجنوبي، ونسيطر عليه بدلا من ذلكم النّاس الذين يعيشون فيه، ولم يكتشفوا أسراره...

ولمّا وقع احتكاك بين أصحاب البيتين المُكَوِنَيْنِ للقصر...حدثت فتنة كبيرة لأصحاب البيت الجنوبي.

فقالوا لشيخان:

أنظر.....لقد تمكّنوا من السّيطرة على أجهزة، وخبايا القصر بأنفسهم.....و الله إنّا لنظنّك قد كذبت علينا يا شيخان.....

فردّ شيخان: يا جماعة، إنّ ما هم فيه فتنة، فلا تسمعوا لهم سيعاقبهم مالك القصر على ما فعلوه.

- فذلك القصر يا ولدي نجيب هو هذه الأرض التي نعيش عليها.

- وذلك المبعوث هو الرّسول محمد صلّى الله عليه وسلّم من الله جلَّ وعلا مالك الأرض، ومليكُهَا.

- وتلكم الجماعة هم نحن المسلمون في البيت الجنوبي، والغربيون في البيت الشّمالي.

- وذلك النور هو الوحي الإلهي...

- وشيخان وجماعته هم المتمسّكِون بظاهر النص عندنا، أو أهل الحديث من عبد الله بن عمر إلى ابن تيمية.....

- وفهمان وجماعته هم أهل الرأي عندنا من عبد الله بن العباس ومرورًا بأبي حنيفة، ووصولا إلى ابن رشد.

- والنور الذي استبدله أصحاب البيت الشّمالي هو الفلسفة المادية الإلحادية التي تنفي وجود الله جلّ وعلا.

- والأجهزة، والآلات داخل القصر هي ميادين الحضارة في الأرض من زراعة، وصناعة، وفلك، وفنون.....و غيرها.

فقلت:

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

- يا شيخ...أليس بعد كل غروبٍ شروق أخر، فَلِمَا أطالت شمس الحضارة غروبها عنّا.....؟.....أم أنّها لن تشرق علينا حتى تغرب عن الآخرين...؟

- فقال: حتما سيأتي يوم تشرق فيه، ولكن ليس بعد معالجتنا لأفكارنا، وتراثنا الذي ورثناه عن أجدادنا....

- فقلت: أفي تراثنا مشاكل يا شيخ.....؟

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

الـتّـــراث

مشكلتنا يا ولدي ليست مع النّص لأنّه أثبت عظمته على مرّ العصور، وليس مع الواقع، وإنّما مشكلتنا مع ما بين النّص، والواقع، إنّها آلية تنزيل النّص.

والنّص هو:

الكتاب، ويمثل النّص الأول، والسّنة التي تمثّل النّص الثّاني، وعِوَضًا أن يكون النّص الأول هو المركز الفكري لحضارتنا سرعان ما استبدل بالنّص الثاني الذي لاقته شوائب كثيرة، ثم بعدها دخلنا في مأزق فكري عمَّر طويلاً عندنا.

فترى من ينتقد بعضا ممّا ورد على أنّه نصٌ ثانٍ لاعتقاده أنّه ليس منه فيتهمونه بانتقاد الدّين كلِّه.....

وتراهم دائما يميلون بالنّقاش، والحوار إلى إثبات قدسية النّص الأول فإذا سَلَّمْتَ معهم بذلك، يطالبونك أن تُسَلِّمَ بما وراءه من نصوص، واجتهادات أخرى، وهذه مغالطة كبيرة.

بَيْدَ أنَّ الحلّ هو النّظر بنظرة الناقد إلى النّص الدّيني عموما، وإعادة فهمه، وتنزيله على واقعنا الحالي.

ثم قال:

مثل الذين يجادلون في التّراث عندنا، كمثل قبيلة كبيرة العدد سارت في الصّحراء بحثا عن ملاذٍ آمِنٍ لها.....و لمّا غاصت في الصّحراء أصابها العطش الشّديد.....ظلّت تبحث عن الماء طويلا حتى انفجر بجانبها ينبوع غزير المياه، فشربت، وارتوت منه كامل القبيلة، ثم بعد ذلك ملأت لها إناءً كبيرًا لتسُدَّ به عطشها في الطّريق، وعندما سارت أفرغت القليل من الماء من ذلك الإناء الكبير في إناء آخر صغير ليس مغلقا بإحكامٍ، فبإمكان الغبار، والجراثيم أن تصل إليه فتُلَوِثُهُ عكس الإناء الكبير الذي كان غلقه شديد الإحكام، فلا يمكن أن تصل إليه أي ذرة غبار، أو جرثومة مهما كانت.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وقامت مجوعة من تلك القبيلة بصناعة أكواب كثيرة حتى تتمكن من صبِّ الماء فيها، وسدِّ العطش كلما استدعى الأمر في تلك الصّحاري القاحلة...

وقرَّرَ زعماء تلك القبيلة أن يبدؤوا الشّرب من الإناء الصغير إلاّ إذا استدعى الأمر شربوا من الكبير.....و مع مرور الأيّام، والأسابيع في ذلك الدَّرب الصَّعب.....بدأ يصيب أفراد تلك القبيلة بعض الآلام في الرأس، وأوجاع في البطن.

قامت جماعة من القبيلة لتبحث الأمر، فوجدوا أن السّبب في ماء الإناء الصّغير الذي أصابته بعض الجراثيم، فقرَّروا صناعة مصفاة لتصفية ذلك الماء كلّما أرادوا الشّرب منه...

قامت المصفاة بالواجب لفترة، ثم عادت فظهرت الآلام، والأوجاع مرَّة أخرى.

تنازعت تلك القبيلة فيما بينها.....

فأفراد القبيلة البسطاء منهم اشتكوا إلى زعمائهم ليجدوا لهم حلاً لتصفية ذلك الماء للحفاظ على صحتهم.

كما طالبوهم أيضا بجعل تلك الأكواب أكبر حجمًا لأنّها لا تكفيهم للقضاء على العطش في تلك الصّحاري.

فقامت الجماعة التي صنعت المصفاة فألقت اللَّوْمَ على الآخرين، وأكدت أنّ المصفاة جيدة لا بأس فيها، ولن نقبل باستبدالها، أو تصليحها لأنّنا لا نرى أنّ المشكل فيها.....بل قد يكون المشكل في أشياء أخرى أدّت إلى إصابتهم بالآلام، والأوجاع.

وقالت الجماعة التي صنعت الأكواب:

-إنَّ هذه الأكواب كافية للارتواء كمّاً، وكَيْفًا، ولا نحتاج إلى تكبيرها أو استبدالها.

وقال آخرون:

مَالَنَاَ لمَّا نَشْرُبُ من الإناء الكبير لا نصاب بالآلام، والأوجاع في حين أنَّنا نصاب بها عند شربنا من الإناء الصّغير، فنحن نقترح أن نوقف الشّرب من الإناء الصّغير، ونكتفي بالكبير حتى نقي أنفسنا وأولادنا.

وقال أفراد قليلون آخرون:

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

نحن نرى أن الماء مُلَوَّثٌ في أصله، ولابد لنا أن نبحث عن منبع، وماء أخر.

- تلك القبيلة يا ولدي نجيب هي نحن المسلمون.

- والإناء الكبير هو القرآن الكريم.

- والإناء الصّغير هو السنة النبوية.

- والمصفاة هي علم مصطلح الحديث الذي يعمل على تمييز الأحاديث النبوية الصّحيحة من الموضوعة.

- والأكواب هي قواعد، وأصول الفقه التي من خلالها يُنَزَّلُ النّص على الواقع.

- والجماعة التي صنعت المصفاة هم علماء الحديث.

- والجماعة التي صنعت الأكواب هم الفقهاء والأصوليون عندنا.

- والذين قالوا بتعديل المصفاة، وتكبير الأكواب هم بعض المفكرين، والفقهاء في عصرنا.

- والذين قالوا بالاستغناء عن الإناء الثاني هم القرآنيون.

- والقلة الذين شكَّكُوا في نقاءِ المياه هم المتغرّبون عندنا.

لابد لنا يا ولدي من تعديل تلك المصفاة، وتوسيع، وتكبير تلك الأكواب حتى يرتوي النّاس من ذلك الماء المبارك، ونحفظهم من الأمراض الفكرية التي قد تصيبهم.

وقل للذين يجادلون في هذا، ونصَّبوا من أنفسهم أوصياء على الدّين، وذكّرهم بسورة نزلت في القرآن الكريم هي حجّة عليهم...

يقول تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ).

إنَّها امرأة في زمن الرسول ﷺ تجادل، ومن تجادل.....تجادل الرسول ﷺ...و لم يعاتبها القرآن الكريم عن جدالها هذا.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فكيف لنا نحن أنْ لا نناقش حتى الشّيوخ فيما قالوا، واستنبطوا..؟

إنَّ الدّين لا يحتاج إلى وصاية، فالدّين هو الوصيُّ علينا.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

السّـعــادة

أذهلتني تحليلات، وأراء الشيخ عبد الودود الثّاقبة التي لم أرها عند أي مفكرٍ، أو فيلسوفٍ غربيٍ، أو شرقيٍ، فقرَّرت أن أسأله سؤالا خارج دائرة العقيدة.

فقلت له: يا شيخ....ما رأيك في السّعادة....؟ وهل للإيمان دور فيها...؟

قال الشّيخ عبد الودود:

السّعادة المطلقة لا مكان لها في هذه الحياة الدّنيا، فتربة هذه الحياة ليست خصبة بما يكفي حتى تنمو فيها بذرة السّعادة، وأكبر انتقاص للسّعادة هو الموت الذي سيظلُّ شوكةً تَؤُزُ الإنسان، وتُنْقِصُ من سعادته.

دعنا نُفَصِّلُ قليلا:

هل الإنسان يستمتع بالأكل، أم يستمتع بالقضاء على الجوع...في الحقيقة هو يستمتع بالقضاء على الجوع...ألم ترى أنّه كلّما زاد جوعه زاد تمتعه بالطّعام، وكذلك كلّما اشتدّ عطشه اشتدّ تمتعه بشرب الماء، وكلّما زاد ابتعاد الإنسان عن الجِنْسِ كلّما زاد تمتعه به.....

بل نرى الإنسان غير الجوعان لا يقترب من الأكل، وقد يصل إلى حد كرهه، وكذلك بالنسبة للشّرب، والجنس.

وكأن للسّعادة مجالان:

- مجال سلبي، ومجال ايجابي بينهما منطقة وسطى.

فالإنسان في الحياة الدّنيا يدور في المجال السلبي للسّعادة، وقد يصل أحيانا إلى المنطقة الوسطى.

ومجال السّعادة السلبي هو مجال ضرورات الحياة من أكل، وشرب،

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وجنس، يكون تمتع الإنسان بها بقدر حاجته لتلك الضّرورات، فكلّما زادت، وقَوَتْ زاد تمتعه حتى يصل إلى المنطقة الوسطى أين يُحِسُّ بسعادة تَخَلُصِهِ من تلك الضّرورات، وهذه هي الذروة في الحياة الدّنيا...

أمّا مجال السّعادة الإيجابي يا ولدي، هو أن يتمتع الإنسان دون ضرورات، وذلك لا يكون إلاّ في الجنّة التي لا جوع، ولا عطش، ولا تعب فيها، بل ترى الإنسان يستمتع بالأكل فيها لأنّه أكلٌ، وليس لأنّه جوعان، وتلك هي السّعادة المطلقة، وتزيد إلى مالا نهاية حتى سمّى القرآن تلك الحياة فقال:

(...وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ...).

إنّها الحيوان، صيغة مبالغة للحياة، فالمتعة الحقَّة يا ولدي هي أن تستمتع بشيء دون الحاجة إليه..

أمّا ما يراه الإنسان الغربي على أنّ الحياة الدّنيا هي كلُّ شيء، وأنّ السّعادة، والفردوس المنشود يكون هنا على الأرض، فهو شِعْرٌ أقرب منه إلى الحقيقة.

مَثَلُهُمْ كمثل الطّفل الصّغير الذي يرى أنّ الطّعام هو متعته، وحياته، ولا يدرك مهما أقنعته أنّ هذا الطّعام هو وسيلة لنموه، وبقائه حيا.

لن يقتنع أبدا بما قلت، ولو وضعته في مكان مملوء بالحلوى لظلَّ يَأْكُلُ، ويَأْكُلُ حتى يُهْلِكَ نفسه، وقد يصل إلى درجة الملل فيكره الأكل بكامله...

ولكن ذلك الطّفل إذا ما كَبُرَ ونَضَجَ، سيدرك أن الطّعام هو وسيلة للبقاء ليس للمتعة فقط، فلابد من تنظيمه فيعرف متى يأكل، وأين يأكل، وكيف يأكل.....

وكذلك الإنسان الغربي الآن، فهو يرى الحياة الدّنيا كَرُؤْيَةِ ذلك الطّفل الصغير للطّعام...بَيْدَ أنَّ المؤمن يرى الحياة الدّنيا كرؤية الطّفل النّاضج للطّعام...

فالمؤمن يرى الدّنيا مرحلة من مراحل حياته سرعان ما ينتقل إلى حياة أخرى أحسن من هذه، وأدوم..... فتراه يعرف كيف يحي فيها، عكس الكافر الذي سَيَظَلُّ يستمتع، ويستمتع، ولن يصل إلى السّعادة المطلقة، وربّما قد يصل إلى مرحلة الملل، والسأم من الحياة، فيصيبه الاكتئاب، وقد ينتحر.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

العــودة إلى الإيـمـــان

فقلت له:

يا شيخ، إنّ أفكارك هذه كالأمطار، والأراضي عندنا عطشى، فلمَا تحبس غيثك عنها....؟

فقال:

يا ولدي أنا شيخ كبير، ومريض، ولم يحالفني الحظ حتى أصل إلى النّاس.....و يبدو أنّ التراب قد اشتاق لبدني.....و إنّ ذلك لَحِمْلٌ كبير لا يقدر عليه إلاّ من كان في رَيَعَانِ الشّباب.

فقلت: فاتخذني ريحا تسوق غَيْثَكَ لتلك الحقول العطشى.

فقال: الحمد لله، يبدو أنّ ربي قد استجاب لدعائي.

عُدْتُ بعدها إلى المنزل، وقد أحسست في الطّريق، وكأنّي قد تصالحت مع كل ما في الوجود..... ما تلك الأشجار، وتلك الجبال إلاّ مخلوقات مثلي لرب عظيم حليم هو ربي.

وجعلت أنشد:

أحببتك ربّي، وليس لحبّك قَدْرُ...

أعبدك لأنّك خلقتني، ليس لأنّ لك أَجْرُ...

رؤياك يوم لقاك هي جنّتي، سأعبدك ما طال العُمْرُ...

آياتك راسخة في الكون وفينا...

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

وكلامك مُعْجزٌ من أول السَطْرُ...

من أنكرها فهو أكبر الجاحدين...

ومن آمن فرضاك عنه أَكْبَرُ...

أنزلت لنا كتابا شرّفنا، وأرسلت فينا محمدا فَمَرُ...

أمرتنا بالخير ما حيينا، وجعلت دينك كلّه يُسْرُ...

سنسجد لك ما بقي النفس فينا...

ونرجو غفرانك وإن كانت ذنوبنا كزبد البَحْرُ...

وانتشرت طاقة في جسدي تدفعني إلى أن أصرخ في كل سكان المعمورة، وأقول:

- إنّ الله موجود..... إنّه عظيم..... إنّه كريم... وأضرب عقولهم بتلك الحُجَجْ التي صَفَعَنِي بها الشّيخ عبد الودود.

دخلت البيت، واستحممت، وقمت أصلّي المغرب، فرأتني أمي فصاحت بأعلى صَوْتِها:

- يا سي جمال..... يا سي جمال، وكانت تقصد أبي.....تعالى، وأنظر إنّ ابني يصلّي.... ألا ترى.... إنّه يصلّي...

الحمد لله، الحمد لله الذي أعاد لي ولدي الذي حملته في بطني، ودَنَتْ منّي، وقالت:

- ليس لك إلا ربّك يا نجيب، ها قد بحثت عنه طيلة حياتك، وأخيرا وجدته.

فقلت لها: لا يا أمي هو الذي جعلني أجده سبحانه.

وشاع أمري في الحيّ، بل في البلد كلّها، وسرعان ما انتشر في العالم العربي أن الفيلسوف سي نجيب عاد إلى الإيمان بقناعات جديدة، وبحجج متينة يخاصم بها عقول الملحدين المشكِّكِين.

وفي اليوم التالي عدت إلى الكوخ، وأخذت موعدا مع الشيخ عبد الودود

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لمناقشته في أمور أخرى كثيرة.

فطلب منّي أن أتيه في المساء لأنّه يكون مشغولا في الصّباح لتحصيلِ رِزقه.

فحاورته لأيام متتالية، وجعلت الحوار في كتاب جعلت في ديباجته قصّة معرفتي به...

ثم قلت للشّيخ: اجعل لهذا الكتاب عنوانا...؟ فقال:

- فليكن - ابتسامة دمعة -.

وكان يقصد بالدمعة حياته التي قضاها في الحزن في هذا الجبل، والابتسامة هي تلك التي سيلقيها في قلب كل شاك في ربِّه.

وبعد أسابيع نُشِرَ الكتاب، وأَحْدَثَ ضَجَّةً إعلامية كبرى، واستدعتني صحف، وقنوات لتحاورني عن هذه المسيرة الحافلة بالأحداث.

دُعِيتُ بعدها في حفل اختتام العام الدراسي في كلية الفلسفة في جامعة القاهرة، وكانت تظاهرة تقوم بها هذه الجامعة كل عام تستدعي فيها كبار الفلاسفة، والكتاب، والإعلاميين في العالم لتكريمهم.

وقد كنت من المُكَرَّمِين في تلك التظاهرة الفكرية بسبب نجاح ذلك الكتاب، وانتشاره بين القُرَّاءِ كالنّار في الهشيم.

صَعَدْتُ على المنصة لأستلم الجائزة، وألقي كلمة في هذه المناسبة.. فقلت:

إلى من سجدت له أرجو...

رحمة منه لذنوبي تمحو...

وهداية منه لنفسي تسمو...

وتوفيقا منه لحياتي تزهو...

وجنة له مني تدنو...

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

ونارا مني تفرّ تعدو...

ذلكم ربي فاسجدوا له مثلي وأدع...

- إنّ هذه الجائزة أيّها السادة الكرام ليست لي..... وليست من حقي سادتي الكرام..... إنها جائزة الشّيخ عبد الودود.....

ذلك الشّيخ الذي كان كشجرة نَبَتَتْ في أعالي الجبال، وأثمرت، ونضجت ثمارها، وأينعت، فانتظرت قاطفا يقطف بعضا من ثمارها.... وطال بها الانتظار حتّى ذبلت تلك الشجرة، وسقطت ثمارها، وتناثرت أوراقها..... فمرّ بها عابر سبيل، فأخذ قليلا من تلك الثمار..... لو ذقتموها ما اشتهيتم الأكل بعدها.

فقام الحضور، وصَفَّقُوا تكريما، وتعظيما لهذا الشّيخ، وطلبوا منّي أن أدلّهم عليه، أو أحضره إليهم حتى يحظى بالتّكريم الذي يستحقه.

ولمّا نزلت من المنصة لمحت شخصا بدا لي أنّي رأيته من قبل كانت دموعه تجري بلا انقطاع، وينظر إليَ بنظرة المحب، فدنوت منه فإذا به صديقي أحمد المصري الذي كان معي في الجامعة الألمانية فقال بكلمات ملفوفة في ابتسامة مبلّلة بالدّموع وهو يرتعد:

- أخيرا وجدَتَّهُ يا نجيب..... أخيرًا.

لقد بحثنا عن عالم كهذا من زمن...ثم قال:

خذني معك لأراه وأَحْضُنَهُ وأُقَبِّلَ يده.

فقلت: إنّه بعيد...هناك في بلدي.

فقال: وليكن...أبسط تكريم له هو ذهابي إليه من هنا.

وعند خروجنا أنا، وأحمد من القاعة كان في المقاعد الأخيرة التي خلت من الحضور شيخ كبير جالس لا يُحَرِّكُ ساكنا، فاقتربت منه، فإذا به البروفيسور ماك توني قد دعي هو أيضا إلى هذه التّظاهرة.....سُرِرْتُ كثيرا برؤيته وقلت:

كيف حالك يا بروفيسور.....؟

فقال: الآن يا نجيب أنا في أسوأ حال...إنّ ما قلت في كتابك هذا جعلني أعيد التفكير من البداية...

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

لم تلبث بعد ذلك إلاّ أشهر قليلة حتى أرسل لي البروفيسور ماك توني كتابه الجديد تحت عنوان:

-أدلة المؤمنين وأباطيل الملحدين.

سِرْتُ بعد ذلك أنا، وأحمد إلى الجزائر قاصدين الشّيخ عبد الودود.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

النـهـــايـــــــة

ركنت السّيارة بجانب مركز العلاج الطّبيعي، وتَرَجَّلْتُ أنا، وصديقي أحمد، ولمَّا اقتربنا من الرّبوة أحسست بإحساس لم أدرك كنهه كان ضباب يغطي المكان، وكأنّ حركة أوراق الشّجر قد تباطأت، وخضرتها مالت إلى السواد، وصوت خرير المياه في الينابيع المحيطة بالمكان قد خَفَتَ..... هرولت باتجاه الكوخ، فوجدته خاليا.....

لحق بي أحمد، فوجدني جاثِيًا على ركبتيَ فقلت :

- أكيد حدث للشيخ مكروه...

وكان هناك شاب يرعى الغنم بجانب المكان، فاقترب منه أحمد وسأله:

- أين صاحب الكوخ.....؟

قال الراعي: ذلك الحطّاب.....!.... لقد واريناه الثَّرَى البارحةَ.... رحمه الله..... عاش وحيدا ومات وحيدا.

انقطعت أنفاسي، وجرت دموعي، وشعرت بظلام قد أحاط بي من كل جانب، وجعلت أكرّر:

- مات ولم ير نسخة من كتابه، أو حتى ابتسامة في وجه قَارِئِهِ.....

فقال أحمد:

أنت على الأقل رأيته، وسمعت منه يا نجيب.....

ثم سحبني من ذراعي، فأدخلني الكوخ حتّى آخذ أنفاسي، وأستعيد فكري، ونرى ماذا سنفعل.....جلست على الأرض أحاول أن أتذكر تلك اللّحظات التي قضيتها مع الشيخ في هذا الجبل.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

حتى سمعت أحمد يقول:

- يا نجيب.....إنّها رسالة فوق السّرير.....و قد كان سرير الشّيخ عبد الودود.....يبدو أنه تركها لك، فأعطانيها أحمد لأقراها.

أخي، وابني نجيب سمعت عنك هذه الأيّام في الصّحف، هنيئا لك النّجاح.... وفقك الله...

يا نجيب، فليكن سلاحك الحقيقة، لا تخشى عليها، فالحقيقة يخشى منها، ولا يخشى عليها.....لقد حَمَلْتُ تلك الأفكار كما تحمل الأم جنينها لسنوات حتى أرهقني، ولكنّها لمّا وُلِدَتْ يبدو أنّها قد اختارتك أُمًّا لها بدلا منّي....فأرعاها يا نجيب.....و كن وَفِيًّا لها.....

لقد رأيتني البارحة في المنام، وكأني في قرية بجانب جبل قد اشتعل بالنّيران ليلا، فأخذت أُوقِظُ النّاس، وأجمعهم لأنقذهم من الحريق، ثم سرت بهم حتى، وصلنا إلى نهر كبير، لا يمكننا أن نتجاوزه، فنغرق، ولا أن نبقى أمامه، فتأتينا النّار، ونحترق....لا زلنا كذلك حتى رأيتك يا نجيب جئت بقارب صغير، وجعلت تَأْخُذُنَا الواحد تلوَ الأخر لِتُنْقِذَنَا، ولكنني يا نجيب، لم أرك قد أخذتني معهم..... أدركت حينها أن بدايتك هي نهايتي، وأن صفحتك تبدأ بطَيِّ صفحتي.....

وداعا يا نجيب.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

من خواطر الشيخ عبد الودود

ابتســـامـــة دمـعـــة:

أحببت الحياة، وما عبّرتني، ودققت بابها، فلمّا فتحت طردتني.

وأحببت الناس، وما أحبوني، وسعيت لإرضائهم فأقسموا أن لا يرضوني.

إن كان إرضاؤكم لي يرهقكم، فإن إرضائي لكم هو ديني.

سأحبكم ما بقيت الأوراق في أغصاني، وأستنشق جفاءكم كمسكينِ.

علّ زفيري مرّة يسقطها، فألبس الثرى معطفا، وحنينِ.

وخشيت الموت وغلّقت بابه، وتمنيت بعدها لو أنّه كسره وقتلني.

وفتشت عن الحب بين حروفه حتى نسيته، فلمّا نسيته تذكرني.

فبحثت عن ربي فوجدني، ولمّا وجدته أحببته، واكتشفت أنّه قبلها قد أحبني.

وعشقت رسوله لمّا سمعته، وأدركت أنّ الحياة، والموت، والحب آَيَاتٌ ربي معها قد أوجدني.

فشربت من كأس الصبر حتى نفذ مني، وما عاد شيء في الحياة لها يجذبني.

وتجرّعت حروف الوحدة حرفا حرفا، حتى ظننت أنّ ما في الكون غيري.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.

فتساءلت أوجدت في الدنيا وحيدا، أم الوحدة هي التي أوجدتني.

لا صديق يلمس ظهري، ولا أخ يستطلع أمري.

فناديت في ليلة قد دنت نجومها منّي، ربي إنّي تعبت فأقتلها، أو أقتلني.

فاحتضنتني، وبدموعها بللتني، إن مت سأنتظرك في قبري.

أنا لك وأنت منّي، حياتك لي، وقدرك قدري.

وصاحت عيني مُغَاضبَة، إنما خلقت لأرى النور لا لأن أصنع الدموع، وأبكي.

فاعتصرت منها أخر دمعة، نظرت إلي تعاتبني، أليس للكون رب قال لعبده أعبدني.

فقبّلت التراب ساجدا أكلمه، ربي إني تجاوزت حدّي فأعفو، ولا تعذبني.

فوهب لي وردة كلما أحببتها أحبتني، وفي غياهب الصحاري حرمت نفسها، وسقتني.

وثنَّاها بشهاب نزل بيتي، فأضاءه، وهزها، فأزتني.

فصحت بصوت مبلل، ربي إنّ الشهاب، والوردة أعضائي، فأخفضهما، وأخفضني.

وامتلأ كأس صبري، وفرّ الموت مني، واحتضنتني الحياة وأحبتني.

ورأت عيني النور، فما رمّشت بعدها، وساد البياض في مشهدي فأسعدتني.

وابتسمت دمعتي قائلة، إن كان الحزن ليلا، أليس بعد كل ليل فجر يقتله.

This PDF document was edited with **Icecream PDF Editor**.
Upgrade to PRO to remove watermark.